

الفصل الثالث: العلاج بالقرآن الكريم وتأثيره والرقية به

المبحث الأول : تأثير الدين على الصحة النفسية (الطب الروحاني) في ضوء البحوث التجريبية في العالم.

المبحث الثاني : العلاج بالقرآن بين الجواز والمنع ومصادر الطب النبوي.

المبحث الثالث : كيفية استخدام العلاج بالقرآن الكريم وشروط من يقوم بالعلاج به.

المبحث الرابع : الرقية الشرعية: حكمها، وضوابطها، وكيفيةها والفرق بين الشعوذة والسحر.

الفصل الثالث

العلاج بالقرآن الكريم وتأثيره والرقية به

تمهيد

الطب الروحاني عبارة عن اتجاه طبي شمولي تكميلي (Complementary) يبحث في أسباب الصحة أكثر من بحثه في أسباب المرض، إذ يؤمن أصحاب هذا الاتجاه بأن عوامل الصحة كامنة في الإنسان وفي محيطه البيئي، وبأن مواجهة المرض ومحاصرته مادياً لا تكفي للتخلص من المرض وتحقيق الشفاء والصحة. كما يفترض القائلون على هذا الاتجاه أن إثارة الإنسان مادياً ومعنوياً لتجاوز العوامل المسببة للحالة المرضية هو ما يقود بالفعل إلى الشفاء والتحرر من المرض.

المبحث الأول: تأثير الدين على الصحة النفسية (الطب الروحاني) في ضوء البحوث التجريبية في العالم

المطلب الأول: الدين والصحة النفسية

على الرغم من أنه لم تؤسس علاقة سليمة بين الدين وعلم النفس منذ القرنين الأخيرين، إلا أن البحوث التي أجريت في هذا المجال منذ حوالي ثلاثين سنة كشفت عن وجود علاقة مهمة بين الدين والصحة النفسية^١. ولا ينحصر هذا الرأي على العلماء الباحثين في مجال العلوم الشرعية،

^١ مجلة حراء. يناير-مارس ٢٠٠٩. العدد ١٤. السنة الرابعة. أ.د. مصطفى كويلو. الدين والصحة النفسية. هذه المقالة هي ليست محاولة الجمع بين الدين والصحة النفسية في ضوء البحوث التجريبية العلمية في العالم فحسب، بل الجمع بين آراء العلماء الباحثين في مجال العلوم الشرعية والعلوم الطبية بدراسة علمية مقننة في إطار البحث العلمي المعروف. وقد ترى

بل يلقي تأييداً من الباحثين في حقول العلوم الطبية أيضاً. وبالإضافة إلى الملاحظات النظرية فالبحوث التجريبية التي أجريت في هذا المجال أثبتت أن الذين يتمتعون بمستوى عال من التدين (الاخلاص في العقيدة والمواظبة على أداء العبادات والدعاء وقراءة المتون المقدسة) يكونون- بالمقارنة مع قليلي التدين- في وضع نفسي أحسن، ومطمئنين في حياتهم، ومتفائلين في تفكيرهم. بالإضافة إلى أنهم أقل تعرضاً للضغوط النفسية والاكتئاب والقلق، وأقوى على مقاومة الضغوط النفسية، وأقل قابلية لفكرة الانتحار¹.

والحقيقة أن بعض هذه البحوث الميدانية تدل قطعاً على العلاقة الإيجابية بين التدين والصحة عموماً والصحة النفسية خصوصاً. ويذكر (Koenig) الذي هو من أهم المتخصصين في هذا المجال أن (٥٠٠) من أصل (٧٠٠) من البحوث التي أجريت قبل عام (٢٠٠٠) في هذا المجال (بنسبه حوالي ٧١%) أظهرت أن هناك علاقة بين الدين والصحة النفسية. وحسب هذا التحليل فقد أظهرت البحوث التي أجريت في كندا على ٣٧ ألف شخص حول مدى العلاقة بين التدين ومقاومة الاكتئاب، أنه كلما زاد التدين قل العثر على الاضطرابات النفسية وحالات

الباحثة أن تخصيص جانب من البحوث الطبية والعلمية لدراسة الأثر الروحي للقرآن الكريم على المرضى وعلى نظم العلاج المختلفة هو أمر هام للغاية، خاصة في ظل انتشار دراسات علمية حديثة دقيقة عن ال (spiritual therapy) وظهور نتائج ذات دلالات واضحة عن قيمة هذه الأساليب في علاج أمراض مستعصية. وهذا الأمر له خصوصية كبرى لدى علماء المسلمين تحديداً لأننا مأمرون بتدبر آيات الله من حولنا وفي أنفسنا.

¹ Koenig, Harold G. 2013. *Spirituality in Patient Care: Why, How, When and What*. USA: Templeton Press. p١٥-١٠٠.

الجنون والاكتئاب والفوبيا الاجتماعي، وأن للتدين موقعاً مهماً في تفسير الإنسان للحياة ومقاومة تبعات الحياة اليومية وتحمل هموم الحياة وشدائدها¹.

وأثبتت ٦٠ من أصل ٩٣ تجربة أن الذين يتحلون بمستوى عال من التدين هم أقل عرضاً للاكتئاب، والذين يتعرضون له يشفون في مدة أقل. وأثبتت ٥٧ من أصل ٦٨ تجربة أن هؤلاء أقل محاولة للانتحار. وأظهر ٣٥ بحثاً من أصل ٦٩ بحثاً أن نسبة القلق لدى المتدينين أقل وفي ٩٨ بحثاً من أصل ١٢٠ أن المتدينين يتعاطون المخدرات أقل من غيرهم. كما أظهرت نتائج ٩٤ بحثاً من أصل ١١٤ أن المتدينين عموماً كانوا في وضع أفضل من الناحية النفسية والشعور بالأمل والتفاؤل. وفي ٩٥ بحثاً من أصل ١٦ يري المتدينين في حياتهم ما يضيء عليها المعنى ويحقق أهدافهم وطموحاتهم أكثر. وأثبت ٣٥ من أصل ٣٨ بحثاً أنهم أسعد في حياتهم الزوجية وأحسن في تعاملهم مع أزواجهم².

نستطيع أن نقول في نهاية المطاف إن الأثر الإيجابي للتدين على الصحة النفسية طبقاً للدراسات العالمية في هذا الشأن قد يكون أكيدا. وفي هذا السياق سنحاول البحث عن العلاقة تحديداً بين العقائد الدينية والاكتئاب والانتحار والقلق، والسلامة النفسية.

¹ Koenig, H. G. 2004. *Religion, Spirituality, and Medicine: Research Findings and Implications for Clinical Practice*. Southern Medical Journal. 97 (12), p. 1195.

² المرجع نفسه، ص ١١٩٥.

أولاً: التدين والاكتئاب

من المعلوم أن الاكتئاب يأتي على رأس قائمة الأمراض التي تهدد إنسان هذا العصر؛ فلقد ثبت أن ١٠٠ مليوناً من الناس تأثروا به^١. فهو من الأمراض الأكثر انتشاراً وبخاصة بين المسنين. فنسبة المسنين الذين يعانون من هذا المرض مقارنة بالمسنين الذين يتلقون العلاج في المستشفيات تصل إلى ٣٥%^٢. وإذا لم يعالج الاكتئاب فإنه يؤدي إلى نتائج سلبية للمسنين وللمجتمع الذي يعيشون فيه. لأن معظم الأمراض الاكتئابية لا تشفى تماماً، وقد ينتكس المرض بعد فترة علاج طويلة، حيث ثبت أن نحو ثلثي مرضى الاكتئاب الذين تلقوا العلاج قد أصيبوا بهذا المرض مرة أخرى في غضون أشهر، وهذا الوضع يؤثر سلباً على نوعية الحياة، ويؤدي إلى ارتفاع معدل حالات الوفيات.

العلاقة بين الدين والاكتئاب، وبعبارة أخرى هل هناك تأثير للدين على مرض الاكتئاب؟ تعرض الباحث (Koenig) لموضوع العلاقة بين الاكتئاب وبين الذين يذهبون إلى الكنيسة، وتوصل في ٥٩ من أصل ٩٣ بحثاً ميدانياً إلى أن نسبة عدم الاستقرار النفسي التابع من الاكتئاب لدى الذين يكثرون من المشاركة في طقوس العبادات الدينية أقل من غيرهم، وبالتالي فهؤلاء يقل لديهم ظهور أعراض هذا المرض. ومن أوسع البحوث في هذا الميدان هو ما قام به (Larson) و(Koenig) سنة ٢٠٠١، حيث قاما بالبحث عن علاقة التدين بالصحة من أبعاد مختلفة، فقاما بتقييم ٨٥٠ عملاً، ووصلا في النتيجة إلى أن هناك علاقة إيجابية بين التدين والرضى عن الحياة.

^١ <http://www.iistanbul.edu.tr/iletim/index.php?tm=5&sahypa-habaroka&haberno=6868> 04.01.2007.

^٢ Cohen, A. B & .H. G. Koenig.2003. *Religion, Religiosity and Spirituality in The Biopsychosocial Model Of Health and Ageing*. Ageing International, 28 (3), p. 220.

وفي بحثهما عن العلاقة بين التدين وبين الاكتئاب والقلق، وصلا إلى أن ثلثي التجارب أظهرت أن الذين كانت نسبة التدين لديهم عالية هم أقل تعرضاً للاكتئاب والقلق^١.

وأما نتائج الأعمال الفردية في هذا المجال فقد قام (Koenig) وزملاؤه ببحث أجروه على ١١١ مسناً مكتئباً، وبعد متابعة استغرقت حوالي سنة ظهر أنه بالإضافة إلى الفعاليات الدينية والحياة الدينية الخالصتين تأثر مهم على مرضى الاكتئاب، وثبت أن نصف المرضى قد شفوا من دون تلقي أي علاج طبي.

فهؤلاء الباحثون مع أنهم لم يشرحوا آليات هذه النتيجة إلا أنهم قد وجدوا أن العقيدة الدينية قد أكسبت هؤلاء المرضى نظرة أفضل نحو الحياة وحققت لهم فهماً وتقبلاً للأوجاع وحتى انتظار الموت. ومن جانب آخر، فإن العقيدة الدينية تُكسب المسنين "تصميماً قوياً للذات"، بمعنى أنها تساهم بشكل أفضل وأصح على "تعرفهم وتقييمهم لجوانب ضعفهم وقوتهم والتعرف على هويتهم، وأن هذا يعتبر مساندة مهمة في فترة الشيخوخة التي تختل صحة الإنسان فيها. بالإضافة إلى أن الدين يعطى أملاً للإنسان بأن الظروف مهما كانت وأن الإنسان مهما واجه من مشاكل، فإن الأمور ستتحسن وذلك يؤدي إلى بعث روح الأمل وتحسين الحالة المزاجية^٢.

وفي البحث الذي قام به (Cummings) وزملاؤه على ٥٦٨ مريضاً توصلوا إلى أن هناك علاقة بين الدعم الاجتماعي والتدين وبين الأعراض الاكتئابية والأمراض الوظيفية، وأن نسبة التعرض

¹ Hackney, C. H & .G. S. Sanders. 2003. *Religiosity and Mental Health: A Meta-Analysis Of Recent Studies*. Journal for the Scientific Study of Religion, 42 (1), p44.

² Koenig, H. G., L. K. George & B. L. Peterson. 1998. *Religiosity and Remission Of Depression in Medically Ill Older Patients*, p. 538-541.

للاكتئاب أقل في الذين يتلقون الدعم الاجتماعي بدرجة عالية وفي الذين يشاركون في النشاطات الدينية، وأن لهذا الأمر تأثيراً إيجابياً على المعاقين بدنياً، وأن للتدين من التأثير ما ليس لغيره من العوامل مثل التعليم، والجنس (الذكورة والأنوثة)، والحالة الاجتماعية (الزواج وعدمه)¹.

وأظهرت البحوث التي أجريت في كندا على ٣٧ ألف شخص حول مدى العلاقة بين زيادة نسبة التدين والاكتئاب، أنه كلما زاد التدين قل العثر على الاضطرابات النفسية وحالات الجنون والاكتئاب والفويا الاجتماعي، وأن للتدين موقعاً مهماً في تفسير الإنسان للحياة ومقاومة تبعات الحياة اليومية وتحمل هموم الحياة وشدائدها².

فكيف يحد التدين من الاكتئاب أو يعدمه تماماً؟

الباحثون يربطون هذا الأمر بالروح الجماعي الذي يتكون بين أفراد الجماعة المتدينة نتيجة الدعاء والعبادة، وذلك يعود بالطاقة المعنوية على أفراد الجماعة؛ لأن أفراد الجماعة لا يتعاونون فيما بينهم معنوياً فقط، بل يتساندون من الناحية المادية أيضاً. ولذلك تقل لديهم الأفكار والمشاعر السلبية مثل الإحساس بالعزلة والضعف وعدم التفاؤل وغياب الأهداف، وخصوصاً إذا اعتبرنا أن من أسباب الاكتئاب الشعور بالوحدة، والانفصال عن المجتمع والأفراد، وضعف الروابط أو انعدامها بالكلية³.

¹ Cummings, S. M., J. A. Neff & B. A. Hussaini. 2003. *Functional Impairment As A Predictor Of Depressive Symptomatology: The Role Of Race, Religiosity, And Social Support*, p25-29.

² Baetz, M. R. et al. 2006. *How Spiritual Values And Worship Attendance Relate To Psychiatric Disorders In The Canadian Population*. Canadian journal of psychiatry, 51 (10), p. 654-657.

³ Kennedy, G. J. et al. 1996. *The Relation Of Religious Preference And Practice To Depressive Symptoms Among 1,855 Older Adults*. Journal Of Gerontology, 51b (6), p. 306; Westgate, C. E. 1996. *Spiritual Wellness And Depression*. Journal of Counseling and Development. 75, p. 31.

ثانياً: الانتحار والعقيدة الدينية

إن محاولات الانتحار مع أنها تكون في كل الفئات العمرية إلا أنها تعد مشكلة أهم بالنسبة للمسنين؛ فالمتخصصون الأمريكيون يذكرون أن ١٠-٣٠% من المسنين في مجتمعهم يعانون من مشاكل نفسية، ويقرر هؤلاء أنه إن لم يعالج هؤلاء المسنون فستزيد نسبة حوادث الانتحار بينهم بنسبة ٥٠%. إضافة إلى أن الانتحار في المجتمعات الغربية لا يشكل عنصراً مهدداً للشيوخ فحسب بل يهدد الشباب أيضاً فنسبة التصرفات المتعلقة بالانتحار في أوساط الشباب تتراوح ما بين ٤٠-٦٠%^١.

إذن فقد أظهرت معظم البحوث التي تناولت العلاقة بين الدين والانتحار أن هناك تناسباً عكسياً بينهما. فقد ثبت أن نسبة حوادث الانتحار في الذين لا يذهبون إلى الكنيسة تزيد بأربعة أضعاف، بالمقارنة بمن يواظبون على ذلك بشكل منظم. وأثبتت دراسة أقيمت في ٢٥ دولة أن هناك تناسباً عكسياً بين الدين والانتحار^٢. وفي مجموعة من بحوث أخرى أجريت في هذا المجال، ثبت أن الدين من أكبر العوامل التي تساعد الإنسان على مقاومة تأثير شتى بواعث الضغوط النفسية وأن الذين يقومون بواجبات عقائدهم الدينية تقل لديهم نسبة التعرض لـ "عوامل الخطر" التي تؤدي إلى الانتحار مثل إدمان المخدرات والاكتئاب والقنوط. وفي الإسلام تحريم للانتحار

¹ Greening, L. & L. Stoppelbein. 2002. *Religiosity, Attributional Style, And Social Support As Psychological Buffers For African American And White Adolescents' Perceived Risk For Suicide. Suicide And Life-Threatening Behavior*, 32 (4), p. 404.

² Weaver, A. J & H. G. Koenig. 1996. *Elderly Suicide, Mental Health Professionals, And The Clergy: A Need For Clinical Collaboration, Training, And Research*, p. 502; Commerford, M. C & M. Reznikoff. 1996. *Relationship Of Religion And Perceived Social Support To Self-Esteem And Depression In Nursing Home Resident*. The Journal of Psychology, 130 (1), p. 43.

تحرماً قطعياً كما جاء في القرآن الكريم وفي الاحاديث الصحيحة، كما أن الديانات الأخرى لا تجيزه. فالدين -على عكس النظم الرأسمالية- يشجع على عيش أبسط وبذلك يحد من الانتحار. والديانات عموماً والاسلام خصوصاً تحث على الاعتدال في الحياة وترفع من قيمه التكافل بين الأفراد وبذلك تحفظ الإنسان من الوقوع في مأزق الاهتمام في كسب المنافع المادية وتساهم في الحفاظ على الصحة النفسية للأفراد.

ثالثاً: التدين والقلق

أجريت ٧٦ تجربة حول البحث عن العلاقة بين الدين والقلق^١ (٦٩ منها بحوث ميدانية و٧ سريرية)، فأُسفرت ٣٥ منها عن أن نسبة عناصر القلق والخوف لدى الذين يتمتعون بمستوى عال من التدين أقل مقارنة بالذين يقل لديهم التدين. ومن أهم الجوانب في هذا البحث أنه ظهر في ٦ من أصل ٧ من البحوث السريرية التي تناولت مستوى العلاقة بين التدين والقلق أن للدين موقعا مهما في التخلص من القلق^٢.

الخوف من الموت

من المعلوم أن من أهم أنواع القلق لدى الإنسان الخوف الغريزي من الموت؛ فالموت الذي هو خارج إرادة الإنسان يبعث في نفس كثير من الناس القلق والخوف. ومع ذلك فالخوف من الموت يختلف من شخص لآخر. وهناك عوامل عديدة تؤدي إلى زيادة الخوف من الموت أو قلته. ويأتي

^١ القلق: الانتزعاج. انظر ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ١٩٨٦م. مجمل اللغة. تحقيق: زهير عبد

اخسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢. ج ١. ص ٧٣٢

^٢ Koenig, H. G. 2002. Religion And Medicine II: Religion, Mental Health, And Related Behaviors . International Journal Of Psychiatry In Medicine. 31 (1), p. 100.

على رأس هذه العوامل مستوى الدين والإيمان بالآخرة والروحانية والعمر. ففي دراسة أجريت على ١٣٢ امرأة و ٦٤ رجلاً تتراوح أعمارهم بين ١٨-٨٠ توصل الباحثون إلى أن العامل الحاسم في قلة الخوف من الموت هو النضج النفسي-الاجتماعي، ويليه في التأثير عامل العمر. وأظهرت هذه الدراسة أنه كلما ارتفع مستوى النضج الاجتماعي والعمر يقل معدل التعرض للقلق والخوف من الموت^١.

وفي الاسلام الموت ليس نهاية الانسان وليس عدماً مطلقاً بل هو بدء حياة جديدة ومقدمة لنهاية أبدية وبالتالي فالخوف والهلع من الموت ليس له نصيب في عقيدة المسلم.

رابعاً: الدين والتفاؤل^٢

هناك دراسة أجريت حول العلاقة بين العقائد والتطبيقات الدينية وبين الشعور بالأمل، فأُسفرت ١٢ من أصل ١٥ عملاً عن وجود علاقة إيجابية بدرجة مهمة بين الأمرين، بينما أسفر عملان عن عدم وجود أي علاقة بينهما. ولكن لم يسفر أي نتائج عن أن المتدينين هم أقل تفاؤلاً وأملًا من غير المتدينين^٣.

^١ Rasmussen, C. A & C. Brems. 1996. *The Relationship Of Death Anxiety With Age and Psychosocial Maturity. The Journal Of Psychology*, (2) 130, p. 143.

^٢ التفاؤل: استعداد نفسي يهيئ لرؤية جانب الخير في الأشياء والاطمئنان إلى الحياة "التفاؤل يساعد على تحمل مصاعب الحياة". انظر: د أحمد مختار عبد الحميد عمر. ٢٠٠٨م. معجم اللغة العربية المعاصرة. د.م: عالم الكتب. ط١. ج٣. ص١٦٦.

^٣ Koenig, H. G. 2002. *Religion And Medicine II: Religion, Mental Health, And Related Behaviors . International Journal Of Psychiatri In Medicine*. 31 (1), p. 99.

ومن أهم إسهامات الدين في الصحة النفسية هو الشعور بالتفاؤل فقد قام (Plante) وزملاؤه ببحث على ٢٤٢ طالباً جامعياً يقيمون في مناطق مختلفة، ويعتقدون مذاهب دينية مختلفة، ويدرسون في مؤسسات تعليمية مختلفة، فوجدوا أن نسبة إضفاء المعنى على الحياة والتفاؤل ومساعدة الغير ورؤية الحياة على أنها صراع بالمعنى الإيجابي، أعلى في أوساط الطلبة الذين يتمتعون بعقيدة قوية، وبالمقابل فنسبة تعرض هؤلاء للاكتئاب والقلق أقل من غيرهم^١.

خامساً: الدين والسلامة النفسية

من المعلوم أنه بتقدم العمر يتوقف التحسن في الصحة البدنية والنفسية فيأخذ شكلاً ثابتاً أو يتجه نحو الانحدار. ومع أن هذا الوضع أكثر عند الرجال، إلا أنه يختلف من شخص لآخر. فإنه في حين أن البعض يتأقلم بشكل جيد مع أعراض الشيخوخة كالأمراض المزمنة وحالات الضعف والاحتياج إلى مساعدة الغير، يتأثر آخرون سلبياً. فالباحثون يرون أنه في مثل هذه الحالات يكون للدين والحياة الروحانية دور كبير من حيث الصحة النفسية. فقد أثبت التجارب أن هناك علاقة بين العقائد والأعمال الدينية وبين سائر المؤشرات على كون الإنسان يلي رغبته في الحياة ويحظى بالسعادة وبمعنويات عالية. فهناك ١٠٠ دراسة حول العلاقة بين هذه العناصر البناءة أسفرت ٨٠% منها عن وجود علاقة إيجابية بينها فعلاً، بينما أظهرت ١٠% منها احتمال وجود علاقة بين العقائد والأعمال الدينية وبين السلامة النفسية، و ٩% منها أنه سيكون الدين وسيلة لتمتع الذين خضعوا للدراسة بسلامة نفسية كبيرة في المستقبل^٢.

^١ Plante, T. G. et al. 2000. *The Association Between Strength Of Religious Faith And Psychological Functioning*. *Pastoral Psychology*. 48 (5), pp. 406-411.

^٢ Koenig, H. G. 2002. *Religion And Medicine II: Religion, Mental Health, And Related Behaviors*. *International Journal Of Psychiatri In Medicine*. 31 (1), p.

وقام (Kirby) و (Coleman) و (Daley) بدراسة على ٢٣٣ شخصا تتراوح أعمارهم بين ٦٥-٩٥، فوجدوا أن للشيخوخة وأعراضها السلبية تأثيرا سلبيا على السلامة النفسية بشكل عام وبدرجة مهمة، إلا أنهم وجدوا -في نفس الوقت- أن للتدين والعقائد الروحانية تأثيرا مباشرا -أو بالواسطة- على إزالة هذه السلبيات والحفاظ على السلامة النفسية. ووجدوا أن للتدين والحياة الروحية تأثيرا قويا على تحكم الفرد في البيئة وعلى تطويره الذاتي وإنشائه علاقات إيجابية مع الآخرين، في حين أن تأثيره على التقبل الذاتي، وإضفاء المعنى على الحياة، وروح الاستقلالية أقل نسبيا. والحقيقة أن هذه النتيجة بمثابة تأكيد للعديد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال^١.

وهذا الوضع يكتسب أهمية كبرى في حال تدهور الحالة الصحية في فترة التقاعد، أو في حال التخلي عن الأعمال والأدوار الرسمية المؤسسية. خصوصا وإن مشاركة المسنين في أداء العبادات تكون وسيلة لاستفادتهم من الخدمات الاجتماعية التي توفرها لهم المؤسسات الدينية من جهة، وتؤدي إلى الرضى الذاتي من جهة أخرى. وأيضا فالمواظبة على العبادات -من حيث إنها تقلل من الأسباب المزمنة والقوية التي تورث الضغوط النفسية- فهي تشكل منبعا مهما لشعور الأفراد بصحة نفسية^٢.

^١ Kirby, S. E., P. G. Coleman & D. Daley. 2004. *Spirituality And Well-Being In Frail And Nonfrail Older Adults*, p. 127.

^٢ Levin, J. S., et al. 1996. *Religious Attendance And Psychological Well-Being In Mexican Americans: A Panel Analysis Of Three-Generations Data*. *The Gerontologist*. 36 (4), pp. 457-461.

وخلاصة القول، على الرغم من أن بعض الجهات لم تتقبل وجود الدين وحاولت تهميشه، إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك على مدى التاريخ، لأن الدين واقع طبيعي ومؤثر في حياة الإنسان ولا ينفك عنها؛ فضلاً عن دور الدين باعتباره منظماً لحياة الفرد والمجتمع من خلال مبادئ وقوانين أخلاقية، يتضح جلياً -بمرور الأيام وبالدراسات العلمية التي تُجرى- أن له جوانب مفيدة على الصحة البدنية والنفسية. فهناك دول عديدة -وعلى رأسها الدول التي وصلت إلى أوج النمو الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي- أخذت تطبق شتى الأساليب البديلة عن الطب الحديث. وللدين موقع مهم من بين تلك الأساليب؛ فالدين بما يضع من أسس اعتقادية وعملية، يقدم أسلوب حياة صحية، وعن طريق الدعم الاجتماعي يشجع الوحدة والسعادة الاجتماعية، ومن خلال الدعاء يجد من القلق والضغوط النفسية، ويفتحه للناس أبواب الأمل والرجاء يضفي على الحياة المعنى والهدف. والحاصل أن معظم العلماء (الغربيين) من مختلف الاعتقادات يرون أنه ينبغي للأطباء أن يأخذوا بنظر الاعتبار دعم قيام مرضاهم بعبادتهم الدينية وتشجيعهم على ذلك كجزء أساسي من نظم العلاج الحديث.

المبحث الثاني: العلاج بالقرآن بين الجواز والمنع ومصادر الطب النبوي

رغم أن القرآن كتاب هداية إلا أنه يحمل في طياته بعض الآيات ملامح الطب الوقائي، ولامح الطب العلاجي، ولامح الطب الروحي. وأن هذه الملامح جميعاً تثبت تجاربها عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه، وتظهر بصورة جلية في العصر الحديث بعد أن كشفت عنها تجارب

العلماء. يقول ابن قيم الجوزية في (الطب النبوي): وكان علاج النبي ﷺ ثلاثة: أحدها: بالأدوية الطبيعية، والثاني: بالأدوية الإلهية، والثالث: بالمركب من الأمرين^١.

وتحدث القرآن عن الحكمة من تحريم الأشياء التي حرمها الله في القرآن ليبين أن التحريم جاء لوقاية الإنسان من أضرار شتى وأمراض مختلفة. فحرم الخنزير والدم والميتة والخمر والميسر والزنى وإتيان النساء في المحيض وكيف وأن مثل هذه الأشياء من مصادر الأمراض الخطيرة، وتعتبر من أساسيات الطب الوقائي (Preventive Medicine). كما تحدث عن غسل النحل، وهذه هي كأحد أساسيات الطب العلاجي (Apitherapy). ثم تحدث عن الرقي والتعاويذ التي كان يتعوذ بها النبي ﷺ والأدعية التي كان يدعو بها لعلاج الأمراض النفسية والبدنية، وهي من أساسيات الطب الروحي (Therapy Spiritual). إن المسلم حين يؤدي ما فرض الله عليه يكتسب مناعة ضد الأمراض النفسية والبدنية.

أما من وجهة النظر العلمية، لا يمكن أن تفصل العلاج الروحي والنفسي عن العلاج الجسدي البيولوجي بشكل جدي، لأنهما أمران مترابطان لا يمكن فرزهما عن بعض. وإنها حقيقة بديهية مسلم بها في علم الطب، أذعن لها جميع العلماء من الأطباء حيث أثبتت التجارب والممارسات الطبية أن بعض المرضى المصابين بأمراض جسمية وعصبية في ظاهرها لا يتم الكشف عن

^١ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. د.ت. الطب النبوي. تحقيق: عبد الغني عبد الخالق. بيروت: دار الفكر. ص ١٧.

^٢ عبد المنعم قنديل. د.ت. التداوي بالقرآن. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. د.ط. ص ٣-٤.

أي عامل حسي بيولوجي لإصاباتهم بل يتعين تحري سببها وعاملها في أعماق نفس المريض فحسب^١. ومن هنا تتجلى حكمة العلاج بالقرآن الكريم.

ولنعلم العلاج بالقرآن لابد أن نتخذ من السنة النبوية مرجعاً لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن. وكان الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ عَالَمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥٣﴾ (سورة النجم: ٥٣-٥٠). ومن هذا المنطلق، نقول أن الطب النبوي هو جزء من العلاج بالقرآن بمثابته وحي من الله. والعلاج بالقرآن الكريم وارد في الآيات القرآنية، وثبت عن النبي ﷺ - من فعله أو أمره أو تقريره - بطرق تفيد القطع واليقين، واجمعت الأمة على جوازه. فمن يستطيع بعد هذا كله أن ينكر العلاج بالقرآن الكريم ويجعله من قبيل الدجل والخرافات إلا أن يكون غريقاً في الجهل عريقاً في الابتداع والانحراف عن السنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: الأدلة من القرآن والسنة والإجماع على جواز العلاج بالقرآن الكريم

تثبت الأدلة من القرآن والسنة والإجماع على جواز العلاج بالقرآن الكريم، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم

ذكر المهندس عبد الدائم الكحيل^١ في بحثه (ثلاثة أرباع الشفاء في القرآن) حول دراسته الرقمية لكتاب الله كلمة مهمة وهي (شفاء)، حيث بين أن هذه الكلمة تكررت أربع مرات في القرآن الكريم في الآيات الآتية:

^١ مريم شمس. ٢٠٠٥م. الإعجاز الطبي في القرآن: دراسة نقدية تحليلية. بيروت: دار الهادي. ط ١. ص ١٣٦-١٣٧.

١. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس ١٠: ٥٧). يقول د. صلاح الخالدي في تفسير هذه

الآية: "الموعظة القرآنية تولد الشفاء للصدور والقضاء على ما في هذه الصدور من

أمراض وأدناس وأرجاس ليعود لها نورها، وتعمل فطرها المؤمنة التي فطر الله الناس عليها.

والقرآن قادر - بإذن الله - على أن يشفي الصدور والقلوب من مختلف أمراضها المادية

والنفسية، أمراض الشبهات والشهوات، وأمراض الهوى والانحراف وأمراض الشك

والشرك، وأمراض القلوب والنفوس والجوارح والحواس وأمراض السياسية والاقتصاد،

والأخلاق والاجتماع وحياة الحضارة. وبهذا المفهوم الموسع الشامل يجب أن ننظر للشفاء

القرآني، وأن نتناوله بهذه السعة والإحاطة، لا نقصره على الآلام الرأس والسن والبطن أو

نحوه إلى تعاويد وتلازم ورقى وحجب، فتمسحه ونقزمه ونفرغه من هذا المعنى الشامل

الواسع وصدق الله القائل: ﴿وَفُتِنَ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (سورة الإسراء ١٧: ٨٢). ومما يلفت النظر في الآية أنها

جعلت الموعظة القرآنية والشفاء القرآني للناس جميعاً، بينما خصصت الهدى والرحمة

للمؤمنين وقصرتهما عليهم مما يجعل الإيمان شرطاً للهدى والرحمة.^٢

٢. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا ۚ تَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ

^١ هو باحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العالمية. ولديه عدد من الأبحاث والاكتشافات العلمية في موقعه من الإنترنت: www.kaheel7.com

^٢ الخالدي. مفاتيح للتعامل مع القرآن. ط ١. ص ٢٨-٢٩.

أَلَوْ أَنَّهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٨﴾ (سورة النحل ١٦ : ٦٨ -

٦٩).

٣. قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء ١٧ : ٨٢). قال القرطبي: "و(مِنْ) لا ابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبیان الجنس كأنه قال: ونزل ما فيه شفاء من القرآن. وأنكر المتأولون أن تكون (مِنْ) للتبعية، لأنه يحفظ من أن يلزمه أن بعضه لا شفاء فيه^١. قال ابن عطية: قال القاضي أبو محمد: وليس يلزمه هذا بل يصح أن يكون للتبعية بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض، فكأنه قال (ونزل من القرآن) شيئاً شيئاً ما فيه كله (شفاء)، واستعارته الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للرب وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى المقررة لشرعه، ويحتمل أن يراد بـ "الشفاء" نفعه من الأمراض بالرقى والتعويد ونحوه، وكونه رحمة ظاهر وليس يلزمه هذا، بل يصح أن تكون للتبعية بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض فكأنه قال: ونزل من القرآن شيئاً شفاء، وما فيه كله شفاء^٢.

وقال أيضاً في تفسير هذه الآية ما نصه: "المسألة الثانية- اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. الثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه..."^٣.

^١ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ط ١. ج ١٣. ص ١٥٦.

^٢ ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج ١٠. ص ٣٣٨.

^٣ المرجع نفسه. ص ١٥٦.

واستدل القرطبي بالأحاديث منها حديث أبي سعيد الخدري في رقية اللديغ بالفاتحة^١، وحديث عائشة عن التداوي بالإخلاص والمعوذتين^٢ وغيرها التي سوف تناقشها الباحثة فيما بعد. ويقول القرطبي أيضاً ما نصه: "وإذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن كانت الرقية بسائر القرآن مثلهما في الجواز إذ كله قرآن"^٣.

وذكر الإمام الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب): "أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمية، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة. وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من الأمراض. فلأن تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر جلال الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سبباً لحصول النفع في الدين والدنيا..."^٤.

قال الشوكاني في كتابه (فتح القلدير): "واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاءً على قولين: الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب الإجارة. باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب. رقم الحديث: ٢٢٧٦. ج ٢. ص ١٣٦.

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب فضائل القرآن. باب فضل المعوذات. رقم الحديث: ٥٠١٦. ج ٣. ص ٣٤٤.

^٣ نفس المرجع. ص ١٥٩.

^٤ الرازي. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ج ٦. ص ٣١-٣٢. ومع هذا الاتجاه كذلك الألوسي في تفسيره. أبو الفضل شهاب الدين. د. ت. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د. ط. ج ١٥. ص ١٤٥. وأبو حيان. تفسير البحر المحيط. ط ١. ج ٦. ص ٧٢. وابن الجوزي في تفسيره. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي. ١٩٨٣ م. زاد المسير في علم التفسير. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٣. ج ٥. ص ٧٩.

الأمور الدالة على الله سبحانه .القول الثاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرفي والتعوذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أو من باب حمل المشترك على معنييه^١. إذن نستطيع أن نقول أن القرآن قليله وكثيره مؤثر، وكله شفاء حيث إن فيه الشفاء التام من جميع الأمراض القلبية، والجسدية والروحية.

٤. قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجْمًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يَقَادَرُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤١﴾﴾ (سورة فصلت ٤١ : ٤٤).

قال ابن قيم الجوزية في (الطب النبوي): "ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة. فما الظن بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه، والذي هو الشفاء التام، والعصمة النافعة والنور الهادي والرحمة العامة والذي لو نزل على جبل لتصدع من عظمتته وجلاله".

وقال الشيخ عبد الرحمن السَّعدي: "ولهذا قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾؛ أي: يهديهم لطريق الرُّشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنه يزجر عن

^١ الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ج ١. ص ٨٦٣.

^٢ ابن قيم الجوزية. الطب النبوي. ص ١٣٨.

مساوئ الأخلاق، وأقبح الأعمال، ويَحْتُ على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب،
وتشفي القلب^١.

ومن هنا يمكننا القول إنه لا يجوز لنا أن نحمل العلاج بتلاوة القرآن وبخاصة الآيات التي تنفع
لأمراض محددة. وهنالك استنباط آخر من هذه الآيات، وهو أن الله تعالى لم يتحدث عن
"العلاج بالقرآن" بل عن "الشفاء بالقرآن"، وكأن المولى سبحانه وتعالى يريد أن يؤكد لنا مسبقاً
بأن التداوي والعلاج بالقرآن نتيجه مضمونة مئة بالمئة، ولذلك فإن أي إنسان يلجأ إلى تلاوة
آيات الشفاء، فإن الشفاء سيحصل بإذن الله تعالى^٢.

وهذا هو منهج رسول الله ﷺ في العلاج حيث يقول: "عليكم بالشفائين: العسل والقرآن"^٣ قال
الشريبي: "جمع في هذا القول بين الطب البشري والطب الإلهي"^٤.

^١ السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر. ٢٠٠١م. تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: عالم الكتب. ط ١.
ص ٨١٠.

^٢ البنا. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ط ١. ص ٢٩-٣١.

^٣ أخرجه الحاكم، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. ٢٠٠٢م. المستدرک علی الصحیحین. تحقيق:
مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. كتاب الطب. رقم الحديث: ٧٤٣٥. ط ٢. ج ٤. ص ٢٢٢. هذا
إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أوقفه وكيع بن الجراح عن سفيان. وقال في التلخيص: على شرط
البخاري ومسلم.

^٤ الشريبي، شمس الدين محمد بن الخطيب. ١٩٩٧م. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج. تحقيق: محمد خليل عيتاني.
بيروت: دار المعرفة. ط ١. ج ١. ص ٥٦٦.

ونلاحظ أيضاً أن الآية الأولى والثانية تخاطبان الناس في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وقوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، لكن الآيتين التاليتين أي الآية الثالثة والرابعة فتتحدثان عن الشفاء للمؤمنين، يقول تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي بِنُورِهِ﴾ هُدًى وَشِفَاءٌ. وهذا نوع من أنواع التوازن في القرآن، وكأن الله يريد أن يقول لنا إن القرآن فيه شفاء لكل من أخذ به سواء كان مؤمناً أو حتى كافراً. ويقول الدكتور صلاح الخالدي: "ومما يلفت النظر في الآية أنها جعلت الموعظة القرآنية والشفاء القرآني للناس جميعاً، بينما خصصت الهدى والرحمة للمؤمنين وقصرهما عليهم مما يجعل الإيمان شرطاً للهدى والرحمة".^١

وبذلك ترى الباحثة أنه يجوز للمسلم أن يرقى أهل الكتاب والكفار بشرط أن لا يكونوا من أهل الحرب. لو رقى المؤمن الكافر غير الحربي فلا حرج؛ لأن هذا من الإحسان إليه كإطعامه وكسوته، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الممتحنة ٦٠: ٨).

ومما يلفت الانتباه أن فعل الشفاء تكرر مرتين، وفي كلتا المراتين نجد أن الذي يشفي هو الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَكُشِفَ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة التوبة ٩: ١٤) وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (سورة الشعراء ٢٦: ٨٠). وهكذا يصبح الشفاء ومشتقاته قد تكرر في

^١ البنا. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ص ٣١.

^٢ الخالدي. مفاتيح للتعامل مع القرآن. ط ١. ص ٢٩.

القرآن ست مرات، وذكرت هذه الآيات الست، فاعل الشفاء وهو الله تعالى، والوسيلة الروحية للشفاء وهي القرآن والوسيلة المادية للشفاء وهو العسل.^١

وليس من شك في أن هذه الآيات تفيد جواز العلاج بالقرآن الكريم، فهو كلام الله تعالى المشتمل على الشفاء والهدى والرحمة للمؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء ١٧: ٩).

ثانياً: الأدلة من الأحاديث النبوية
إن العلاج بالقرآن الكريم وارد عن النبي ﷺ بطرق تفيد القطع واليقين، بحيث لا يسع من وقف عليها أن يتشكك في ذلك أو يداخله أدنى احتمال. وقد رواه عن النبي ﷺ أربعة عشر صحابياً هم علي، وابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وعلاقة بن صحرار عم خارجة بن الصلت، والسائب بن يزيد، وعائشة، وعثمان بن عفان، وعبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر، وابن عباس الجهني، وأبو ليلى، وأبي بن كعب.^٢

وإضافة إلى ذلك فإن هذه الأحاديث مخرجة في صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، والموطأ للإمام مالك، وصحيح ابن

^١ البنا. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ص ٣٢.

^٢ الغماري، عبد الله بن محمد بن الصديق. ١٩٨٥م. كمال الإيمان في التداوي بالقرآن. بيروت: عالم الكتب.

حبان، ومستدرك الحاكم، وسنن الدارقطني، والبيهقي، ومعاجم الطبراني، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى، وجمع الزوائد للحافظ الهيثمي وغيرها من كتب السنة التي عن طريقها وصل إلينا الهدي النبوي. وسوف تتعرض الباحثة لبعض الأحاديث والروايات الواردة عن العلاج بالقرآن، منها:

١. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالشفائين: العسل والقرآن".^١

٢. عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إنني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطع من العجم فانطلق يتقل عليه ويقول الحمد لله رب العالمين فكأثما نشط^٢ من عقل فانطلق يمشي وما به قلبه قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقساموا. فقال الذي رقي: لا تفعلوا حتى تأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي

^١ سبق تخريجه.

^٢ نشط: أي حل. انظر ابن الأثير. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. ٢٠٠١ م. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: الشيخ خليل مأمون شبحا. بيروت: دار المعرفة. د. ط. ج ٢. ص ٧٤٤.

^٣ قلبه: ألم وعلة. انظر ابن الأثير. ج ٢. ص ٤٨٢.

كان، فننظر ما يأمرنا؟ فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً، فضحك رسول الله ﷺ^١.

واستدل العلماء بهذا الحديث على جواز رقية المسلم للكافر وأخذ الأجرة عليها. واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ووجه الاستدلال أن الحي - الذي نزلوا عليهم فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم - كانوا كفاراً، ولم ينكر النبي ﷺ ذلك عليه^٢.

وقوله ﷺ: "اقسموا واضربوا لي معكم سهماً" هذا تصريح بجواز أخذ الأجر على الرقية بالفاتحة والذكر وأنها حلال لا كراهة فيها. وفي الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرقى بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته ولا ما ينفيه^٣.

٣. عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك^٤.

قسم النبي ﷺ في هذا الحديث الرقية إلى قسمين: رقية حق، ورقية باطل. فالرقية الحق ما كانت بالقرآن أو بما ورد عن النبي ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره. ورقية الباطل ما لم تكن

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب الإحرة. باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب. رقم الحديث: ٢٢٧٦. ج ٢. ص ١٣٦.

^٢ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت. د.ت. الموسوعة الفقهية الكويتية. باب رقية المسلم للكافر. الكويت: دار السلاسل. ط ٢. ج ١٣. ص ٣٤.

^٣ ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٤. ص ٥٣٤-٥٣٥.

^٤ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك. رقم الحديث: ٢٢٠٠. ج ٣. ط ١. ص ٤٢٨.

كذلك^١. قال الشوكاني: الرقي الباطلة المذمومة هي التي كلامها كفر، أو التي لا يعرف معناها كالطلاسم المجهولة المعنى^٢.

٤. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بمن، فأمسح بيد نفسه لبركتها. فسألت ابن شهاب: كيف كان ينفث؟ قال: ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه^٣.

٥. روى مسلم في صحيحه قال: حدثني سريج بن يونس ويحيى بن أيوب قالا حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات. فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي. وفي رواية يحيى بن أيوب بمعوذات^٤.

٦. وروى مسلم في صحيحه قال: حدثنا شيان بن فروخ حدثنا أبو عوانة عن منصور عن إبراهيم عن مسروق عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا عاد مريضا يقول: "أذهب البأس رب الناس اشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما"^٥.

^١ الغماري. كمال الإيمان في التداوي بالقرآن. ص ١٠.

^٢ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. باب إباحة التداوي. ج ١٣. ص ١٦١.

^٣ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب فضائل القرآن. باب فضل المعوذات. رقم الحديث: ٥٠١٦. ج ٣. ص ٣٤٤.

^٤ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب رقية المريض بالمعوذات والنفث. رقم الحديث: ٢١٩٢. ج ٣. ص ٤٢٥.

^٥ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب استحباب رقية المريض. رقم الحديث: ٢١٩١. ج ٣. ص ٤٢٤.

٧. عن خارجة بن الصلت عن عمه، أنه مر بقوم فأتوه فقالوا: إنك جئت من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجل فأتوه برجل معتوه في القيود فرقاه بأمر القرآن ثلاثة أيام غلوة وعشية وكلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل فكأنما أنشط من عقال فأعطوه شيئاً فأتى النبي ﷺ فذكره له فقال النبي ﷺ: كل فلعمري لمن أكل برفية باطل لقد أكلت برفية حق^١.

وقال الإمام الحاكم: حدثنا عبد الله حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمر بن علي عن أبي جناب عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثني أبي بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ فاجأ أعرابي فقال يا نبي الله إن لي أخاً وبه وجع قال وما وجعه قال به لم^٢ قال فأتني به فوضعه بين يديه فعوزه النبي ﷺ بماتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين ﴿وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وآية من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وآخر سورة المؤمنين ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ وآية من سورة الجن ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا﴾ وعشر آيات من أول الصفات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشتك قط.

^١ أخرجه أبو داود في السنن. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دعت. سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف. كتاب البيوع. أبواب الإجارة. باب في كسب الأطباء. رقم الحديث: ٣٤٢٠. ط ٢. ج ٢. ص ٦١٧. قال الألباني: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي. انظر الألباني. محمد ناصر الدين، ١٩٩٦م. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الرياض: مكتبة المعارف. ط ١. ج ٥. ص ٤٥.

^٢ اللهم: طرف من الجنون يلم بالإنسان.

^٢ الحاكم النيسابوري. المستدرک على الصحيحين. كتاب الرقي والتعائم. رقم الحديث: ٨٣٣٨. ج ٤. ص ٥٧٣. قال الذهبي: أبو جناب الكلبي ضعفه الدار قطني والحديث منكر.

٨. وذكر الإمام النووي روى في كتابه (التبيين): أنه يستحب أن يقرأ عند المريض بالفاتحة في الحديث الصحيح - سبق تخريجه - فيها "وما أدراك أنها رقية" ويستحب أن يقرأ عنده قل

هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس مع النفث في اليدين^١.

٩. وقال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الطب النبوي: "ولقد مرَّ بي وقتٌ بمكة سقمتُ

فيه، وفقدتُ الطبيب والدواء، فكنْتُ أتعالج بها، آخذ شربةً من ماء زمزم، وأقرؤها عليها

مرارًا - يعني: فاتحة الكتاب - ثم أشربه، فوجدتُ بذلك البرء التام، ثم صرتُ أعتد

ذلك عند كثيرٍ من الأوجاع، فأنفعُ بها غايةً الانتفاع"^٢.

١٠. وأحياناً رقى رسول الله ﷺ غيره، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله عليه

وسلم كان يعود بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: "اللهم رب الناس أذهب البأس،

واشف إنك الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً"^٣. وتارة رسول الله ﷺ

يرقيه غيره، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقه جبريل

عليه السلام، قال: "بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد،

وشر كل ذي عين"^٤. وفي بعض الأحيان الرسول ﷺ يأمر ويندب غيره، ويرخص في

^١ النووي ١٩٣٤م. التبيين في آداب حملة القرآن. تحقيق: علي بن محمد المعروف بالضباع المصري. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. د. ط. ص ٣٧.

^٢ ابن قيم الجوزية. الطب النبوي. ص ١٣٩

^٣ أخرجه البخاري في صحيحه. صحيح البخاري. كتاب الطب: باب دعاء العائد للمريض. رقم الحديث: ٥٦٧٥. ج ٤. ص ٣١. ومسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام: باب استحباب رقية المريض. رقم الحديث: ٢١٩١. ج ٣. ص ٤٢٤. قال النووي: الحديث فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له. وقد جاءت فيه روايات كثيرة صحيحة جمعتها في كتاب الأذكار انظر النووي على صحيح مسلم. ج ١٤. ص ١٨٠.

^٤ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام: باب الطب والمرض والرقى. رقم الحديث: ٢١٨٥. ج ٣. ص ٤٢١.

الرقية، عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفة^١. فقال: "استرقوا لها فإن بها النظرة"^٢.

وكذلك الرسول ﷺ يقر غيره على الرقية، عن جابر رضي الله عنه أن آل عمرو بن حزم قالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقى نرقى بها من العقرب، وإنك نهييت عن الرقى. قال: فعرضوا عليه، فقال: "ما أرى بها بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفع"^٣.

هذه الروايات المذكورة تثبت التجارب المتكررة بعضها عن النبي ﷺ، وبعضها عن الصحابة وبعضها عن التابعين وغيرهم، أنهم استعملوا القرآن دواء لأمراض ظاهرة كلدغ أو سم أو جنون أو غير ذلك مما يدل على جواز العلاج بالقرآن الكريم.

ثالثاً: الإجماع

وقد أجمع العلماء على جواز العلاج بالقرآن الكريم. وذكر الإمام النووي في (المنهاج شرح صحيح مسلم) ما نصه: "وقد نقلوا الإجماع على جواز الرقى بالآيات وأذكار الله تعالى. قال المازري جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت باللغة العجمية

^١ السفة: المس من الجنون. الترخشي: ١٩٩٦. الفائق في غريب الحديث و الأثر. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. ج ٢. ص ٢١٢.

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه. صحيح البخاري. كتاب الطب: باب رقية العين. رقم الحديث: ٥٧٣٩. ج ٤. ص ٤٢.

^٣ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام: باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمّة والنظرة. رقم الحديث: ٢١٩٩. ج ٣. ص ٤٢٨.

أو بما لا يدري معناه لجواز أن يكون فيه كفر"^١. ومن هنا يتبين لنا إن الإجماع منعقد على جواز العلاج بالقرآن الكريم، بل على استحبابه منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم^٢.

ومن العلماء من نصح على الإجماع في ذلك حيث قال: أجمع الفقهاء على جواز التداوي بالرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى. وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله^٣.

يقول ابن القيم: "فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدينية، وأدواء الدنيا والآخرة. فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه. فمن لم يشفه القرآن فلا شفاؤه الله، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله"^٤. ترى الباحثة المقصود بهذا الكلام لا بد من اليقين وحسن الظن بالله لأن من شروط انتفاع العليل بالدواء قبوله واعتقاده النفع به.

ونوقشت هذه القضية أيضاً في مؤتمر "العلاج بالقرآن بين الدين والطب". وقد ألقى المحاضرة الافتتاحية الدكتور زغلول النجار، وكانت المحاضرة عن "الإعجاز العلاجي في القرآن الكريم".

^١ النووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف. د.ت. شرح صحيح مسلم. تحقيق الشيخ خليل الميسر. بيروت: دار القلم. ط ١. ج ١٣. ص ٤١٩.

^٢ الغماري. كمال الإيمان في التداوي بالقرآن. ص ٢٣.

^٣ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب الطب. باب الرقى بالقرآن والمعوذات. ج ١٠. ص ٢٤٠-٢٤١.

^٤ ابن القيم. زاد المعاد. ج ٤. ص ٣٥٢.

وأكد النجار أن الآراء حول قضية العلاج بالقرآن الكريم تنقسم إلى مجموعات ثلاث على النحو التالي:

فالرأي الأول: يحصر العلاج بالقرآن في النواحي الروحية فقط، ولا يرى دوراً لعلاج أي من الأمراض العضوية أو النفسية بالقرآن، وينصح باللجوء إلى الطب والأطباء وإلى التداوي بالأدوية المناسبة لكل مرض كما حددها المعارف المكتسبة.

والرأي الثاني: يؤمن أصحابه بأن القرآن الكريم هو شفاء من الأمراض غير العضوية والتي قد تنتج عن بعض المسببات الغيبية كالأمراض الناتجة عن الحسد أو المس أو السحر وبعض الحالات المرضية الأخرى التي لا تجد لها العلوم المكتسبة تفسيراً منطقياً مقبولاً في عالم مليء بالغيوب وفي ظل الاعتراف بمحدودية الإنسان. يستند أصحاب هذا الرأي إلى أن رسول الله ﷺ أوصى بالتطبيب والتداوي، كما أوصى بالرقية الشرعية وبالأدعية الماثورة.

والرأي الثالث يرى أن القرآن الكريم بكونه كلام رب العالمين فلا بد وأن يكون فيه الشفاء من كل داء. ومن هنا يؤكدون على ضرورة الاستشفاء بكلام الله مع الالتزام بالضوابط اللازمة، لذلك ومع الاستعانة بجميع معطيات الطب وعلاجه في كل حقل من حقوله العضوية والنفسية، ومن حاجة الجسد إلى العلاج العضوي وحاجة النفس إلى العلاج النفسي وحاجة الروح إلى كلام الله تعالى أخذاً بالأسباب انطلاقاً أن تكون الإنسان من جسده ونفس وروح.

ثم قدم زغلول النجار صفحات لمناقشة هذه الآراء الثلاثة ومبررات كل منها والتأكيد على مساندة الرأي الأخير منها مع الاستدلال بعدد من الشواهد العلمية على ذلك. وأضاف زغلول أنه من كل ذلك تتضح قيمة العلاج بالقرآن الكريم، بأنه إذا كانت للنبذة وللنخلة وللسمكة ولغيرها من الأحياء وحبات الرمل القدرة على التحرك لكتابة لفظ الجلالة تسبيحاً لله تعالى وتمجيداً وخضوعاً للعبادة التسخيرية، وإذا كانت لذرات وجزيئات الماء القدرة على التأثير بسماع القرآن الكريم والانفعال بذلك والتعبير عنه بشكل بلوري محدد فإنه من باب أولى أن يستجيب جسد الإنسان لتلاوة القرآن وهو مكون في غالبته من الماء^١.

وبعد هذا العرض، يتبين لنا أن العلاج بالقرآن ثابت عن الله ورسوله وعلماء الأمة، وأن القرآن شفاء للأمراض الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية. ويتضح أن العلاج الحقيقي لا بد أن يشمل الروح والجسم معاً. فالعلاج بالقرآن مكون من هذين الأمرين: الروح والجسم. وهذا يتفق بما تعرف المنظمة العالمية للصحة في الفقرة (٢) من نظامها الداخلي المقرر في عام ١٩٤٨، الصحة بأنما: حالة التمتع بالرفاه الجسمي والنفسي والاجتماعي التام وليس مجرد غياب المرض أو الخلو من حالات العجز^٢.

^١ مؤتمر العلاج بالقرآن: بين الدين والطب. ١٠-١٢ إبريل ٢٠٠٧. المنعقد بمدينة أبو ظبي بالإمارات تحت رعاية مؤسسة التنمية الأسرية. والتي ترأسها الأميرة فاطمة بنت مبارك زوجة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله.

^٢ مريم شمس. الإعجاز الطبي في القرآن: دراسة نقدية تحليلية. ص ١٣٧. الصحة هي حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرد انعدام المرض أو العجز. وهذا التعريف مُقتبس من ديباجة دستور منظمة الصحة العالمية، بصيغته التي اعتمدها مؤتمر الصحة الدولي المعقود في نيويورك في الفترة بين ١٩ حزيران/يونيو و ٢٢ تموز/يوليو ١٩٤٦؛ والتي وقّع عليها، في ٢٢ تموز/يوليو ١٩٤٦، ممثلو ٦١ دولة (السجلات الرسمية لمنظمة الصحة العالمية، المجلد ٢، الصفحة ١٠٠) ودخلت حيز التنفيذ في ٧ نيسان/أبريل ١٩٤٨، ولم يخضع ذلك التعريف لأي تعديل منذ عام ١٩٤٨. أنظر:

Edlin, G. (2010). *Health and Wellness* (10 ed.). Canada: Jones and Bartlett Publisher.

المطلب الثاني: الرد على من أنكر العلاج بالقرآن

ورغم أن العلاج بالقرآن الكريم والتداوي به ثابت بالأدلة الصحيحة من القرآن والسنة والإجماع فإن هناك من أنكر العلاج بالقرآن متمسكاً بشبهات واهية، وسوف أذكر هذه الشبهات وأقوم بالرد عليها فيما يلي:

أولاً: الشبهة الأولى والجواب عليها

يقول البعض إن العلاج بالرقى منهي عنه متمسكاً ببعض الأحاديث الواردة في هذا المجال ومنها: ما روى عن جابر قال: "نهى رسول الله ﷺ عن الرقى"^١. وقال النبي ﷺ: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب" قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتون، ولا يسترقون^٢، وعلى رءسهم يتوكلون"^٣. وقوله ﷺ: "لم يتوكل على الله من اكتوى واسترقى"^٤.

الجواب:

أما الأحاديث المذكورة على منع الرقى فقد ذكر النووي في (المنهاج شرح صحيح مسلم) ما نصه: "قد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال الإمام أبو عبد الله المازري: احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوي مكروه ومعظم العلماء على خلاف ذلك، واحتجوا بما وقع

^١ أخرجه مسلم، كتاب السلام. استحباب الرقية من العين. رقم الحديث: ٤١٧٨. ج ١١، ص ٢٠٠.

^٢ يسترقون: الاسترقاء طلب الرقية.

^٣ أخرجه مسلم. ٢٠٠٣م. صحيح مسلم بشرح النووي. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الإيمان. باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. رقم الحديث: ٣٧٠. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ٢. ج ٣. ص ٧٦.

^٤ أخرجه أحمد، مسند أحمد، مسند الكوفيين. مسند المغيرة بن شعبة. رقم الحديث: ١٧٥٠٧. ج ٣٧. ص ١٦٣.

في أحاديث كثيرة من ذكره ﷺ لمنافع الأدوية والأطعمة كحبة السوداء والقسط والصبر وغير ذلك. وبأنه ﷺ تداوى، وبإخبار عائشة رضي الله عنها بكثرة تداويه وبما علم من الاستشفاء برقاه، وبالحديث الذي فيه أن بعض الصحابة أخذوا على الرقية أجراً. فإذا ثبت هذا حمل ما في الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى^١.

وقد ذكر الإمام النووي أيضاً أن حديث (لا يكتون، ولا يسترقون، وعلى ربحهم يتوكلون) "فقد يظن مخالفاً لهذه الأحاديث ولا مخالفة بل المدح في ترك الرقي المراد بها الرقي التي هي من كلام الكفار والرقي الجهولة والتي بغير العربية وما لا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروه. وأما الرقي بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة. ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين أن المدح في ترك الرقي للأفضلية وبيان التوكل والذي فعل الرقي وأذن فيها لبيان الجواز مع أن تركها أفضل، وبهذا قال ابن عبد البر وحكاها عمن حكاه والمختار الأول"^٢.

أما قوله في الرواية الأخرى يا رسول الله إنك نهييت عن الرقي، فأجاب العلماء عنه بأجوبة: أحدها: كان نهي أولاً ثم نسخ ذلك وأذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الإذن. والثاني: أن النهي عن الرقي الجهولة كما سبق. والثالث: أن النهي لقوم كانوا يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها كما كانت الجاهلية تزعمه في أشياء كثيرة. قال ابن تيمية في الفتاوى: "ولهذا نهي علماء

^١ النووي. شرح صحيح مسلم . ج ٣. ص ٧٦-٧٧.

^٢ النووي. شرح صحيح مسلم. ج ١٣. ص ٤١٩.

^٣ المرجع نفسه. ج ١٣. ص ٤٢٠.

المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها، لأنها مظنة الشرك"^١. ولهذا بادر الصحابة رضوان الله عليهم بسؤال رسول الله ﷺ عما كان لديهم من رقى فأمرهم بعرضها عليه وسمح لهم بها عند وضوحها.

ثانياً: الشبهة الثانية والجواب عليها

وقال بعض العلماء إن المراد بشفاء القرآن هو ما عدا شفاء الأجسام، بدليل أن النبي ﷺ أخبر أن لكل داء دواء إلا الموت أو إلا الهرم، وأمر بالتداوي عند المختصين كالخارث بن كلدة، وعالج بالنفصد والحجامة وشرب العسل وبغير ذلك مما وضعه ابن القيم في كتاب الطب النبوي. ودار الخلاف حول مفهوم الشفاء هل هو جسدي أو نفسي أو أخلاقي أو عقلي؟ ويزعم أنه لم ينزل لهذا، وإنما نزل للهداية ومعالجة أمراض القلوب والنفوس^٢.

الجواب:

الجواب عن هذه الشبهة التي يذرعون بها الإنكار ما ثبت عن الرسول الله ﷺ وصحابته والتابعين. إن الله تعالى أنزل كتابه الكريم للحكم كثيرة وفوائد عديدة لا تكاد تنحصر. وهذه الحكم لا تنافر بينها ولا تناقض بل هي متداخلة متوافقة. يقول ابن كثير في تفسيره: "أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الأبد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن

^١ ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ١٩. ص ١٣.

^٢ الغماري. كمال الإيمان في التداوي بالقرآن. ص ٤٣-٤٤.

كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله^١. والدليل كما يلي:

١. أن القاعدة المقررة في علم الأصول^٢ أن الكلام إذا احتمل التأكيد أو التأسيس^٣ فحمله على الثاني أرجح لأنه يفيد فائدة جديدة لم تكن في حمله على التأكيد^٤. وبهذه القاعدة يتعين حمل الآية ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على الشفاء من الأمراض الظاهرة لأنه تأسيس لمعنى جديد بخلاف حملها على الشفاء من أمراض القلوب وريبتها وجهلها فإنه تأكيد لما أفادته آيات أخرى من هذا المعنى.

٢. وقد ثبت في البحوث الطبية أن الهم والقلق يسبب نقص المناعة، وبالتالي يضعف الجسم عن مقاومة الأمراض، ويبدأ الجسم تدريجياً في الضعف والذبول حتى يصل إلى مرحلة خطيرة.

^١ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج ١، ص ١٥١.

^٢ القاعدة هي: (إعمال الكلام أول من إعماله) يعني أنه لا يجوز إهمال الكلام واعتباره بدون معنى ما أمكن حمله على معنى حقيقي له أو معنى مجازي. لأنه لما كان إهمال الكلام إنما هو اعتباره لغواً وعشاً والعقل والدين يمنعان المرء من أن يتكلم بما لا فائدة فيه فحمل كلام العاقل على الصحة واجب. إلا أن اللفظ المراد إعماله إذا كان مما يحتمل التأكيد والتأسيس فحمله على التأسيس أولى لأن التأسيس أولى من التأكيد، وبعبارة الأخرى الإفادة أولى من الإعادة ولأنه لما كان اللفظ في الأصل إنما وضع لإفادة معنى غير المعنى الذي يستفاد من غيره فحمله على التأكيد دون التأسيس إهمال لوضعه الأصلي. ومثاله: لو قال رجل لزوجته (أنت طالق طالق طالق) تكون طالقاً ثلاثاً ولا يلتفت لكلام الزوج إذا هو قال بعد ذلك أنني قصدت التأكيد في تكراري كلمة الطلاق هذا غير أنه وإن كان حمل الكلام الذي يحتمل التأكيد والتأسيس معاً على التأسيس أولى. انظر حيدر. علي. ٢٠٠٣م. درر الحكام شرح مجلة الأحكام. الرياض: دار عالم الكتب. طبعة خاصة. ج ١، ص ٥٩.

^٣ التأكيد: هو اللفظ الذي يقصد به تقرير وتقوية معنى لفظ سابق له ويقال له "إعادة" أيضاً. التأسيس: هو اللفظ الذي يفيد معنى لم يفده اللفظ السابق له ويقال له "إفادة" أيضاً. انظر درر الحكام في شرح مجلة الأحكام. ص ٥٩.

^٤ حيدر. درر الحكام شرح مجلة الأحكام. ج ١، ص ٥٩.

^٥ البناء، الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية، ص ٧٣.

٣. أنه ثبت ثبوتاً قطعياً أن النبي ﷺ استشفى بالقرآن، وأقر الصحابة على الاستشفاء به، وذلك لا يدع مجالاً للشك في حمل الآية على الشفاء من الأمراض الظاهرة. وهذا ما أثبتته التجارب المتكررة في حالات متعددة بعضها عن النبي ﷺ، وبعضها عن الصحابة والتابعين، وأنهم استعملوا القرآن دواءً لأمراض ظاهرة كلدغ أو سم أو بثرة أو غير ذلك.

٤. أن هذا المعنى ثبت عن أئمة التفسير كابن عباس ومجاهد وابن جرير والقرطبي وابن عطية وغيرهم.

٥. من المعلوم كما قال ابن القيم وغيره أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة فما الظن بكلام رب العالمين.

٦. أنه إذا كان القرآن شفاءً للأمراض الباطنة فما المانع أن يكون شفاءً للأمراض الظاهرة؟ بل الثابت عن الله ورسوله وعلماء الأمة أن القرآن شفاءً للأمراض الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية.

٧. ما أثبتته التجارب المتكررة في قضايا متعددة بعضها عن النبي ﷺ، وبعضها عن الصحابة والتابعين، وأنهم استعملوا القرآن دواءً لأمراض ظاهرة كلدغ أو سم أو بثرة أو غير ذلك.

وبعد هذا العرض الشامل للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، يتضح لنا أن القرآن شفاء. وللمؤمن أن يعتقد أن القرآن دواء وشفاء - بإذن الله - لكافة الأمراض العضوية والنفسية. وأن يتيقن أن العلاج بالقرآن الكريم حقيقة واقعة، أثبتتها الأدلة القطعية من الكتاب والسنة، ومن ثم الخبرة والتجربة العملية، ومن فسّر شفاء القرآن على أنه شفاء للقلوب، فهو تفسير قاصر؛ لأنه شفاء لأمراض القلوب والأبدان معاً. وإنكاره ليس إنكاراً لسنة نبوية فحسب بل ينكر قدرة كلمات الله سبحانه وتعالى على الشفاء.

المطلب الثالث: مصادر الطب النبوي

إذا نظرنا إلى الجزيرة العربية في العهد الجاهلي وأهلها، نرى أن علم الطب لم يتطور حينذاك. لأن الهندسة والعمارة وما إلى ذلك من العلوم والفنون إنما تنمو في المجتمعات المتقدمة. ولذلك فإنه كان من المستحيل أن يتطور علم الطب تطوراً ملحوظاً في مجتمع ميزته الأصلية هي البداوة. ولكننا نرى رغم أن الإنسان مهما ترسخت بداوته فإنه يبدل الجهد لفهم الأمراض ومعالجتها. وبالتالي فإن العرب الجاهليين وإن كانوا محرومين من الحضارة، فلديهم بعض التطبيقات حول علم الطب^١. ويقول الشاطبي: "أما علم الطب فقد كان في العرب منه شيء لا على ما عند الأوائل، بل مأخوذ من تجارب الأميين، غير مبني على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون"^٢. ففي هذا المبحث سوف نتحدث الباحثة عن علم الطب عند العرب في العهد الجاهلي، وما يليه من تطبيقاته في أول صدر الإسلام ومصادر معلومات النبي ﷺ الطبية.

أولاً: علم الطب عند العرب في العهد الجاهلي

تعلم العرب الطب من الفرس والبيزنطيين ثم نقلوا هذه الصناعة إلى المناطق الداخلية للجزيرة العربية^٣. فترى أن بعض العرب في العهد الجاهلي قد درسوا في هذه البلاد وعادوا بعد التخرج

^١ الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق. ٢٠٠٦م. موسوعة الطب النبوي. تحقيق: د. مصطفى خضر دوغان التركي. بيروت: دار ابن حزم. ط ١. ج ١. ص ١٠٠. ١٠١.

^٢ الشاطبي. الموافقات في أصول الأحكام. القاهرة: دار الفكر. ج ٢. ص ٤٩.

^٣ وإذا نظرنا إلى المصادر التاريخية نرى أن الأطباء النسطوريين الذين كانوا متعمقين في علم الطب خصوصاً، قد لجأوا إلى إيران من جراء التزمت المذهبي الذي كان يسود البيزنط في القرن الخامس الميلادي. وأسس لهم الملك الساساني سابور الثاني مركزاً سكنياً في جندشابور من العراق. فقد قام هؤلاء الأطباء بنقل الطب اليوناني القلم إلى الجنوب الشرقي وواصلوا تدريسه حتى القرن الثالث الهجري في المدرسة التي أسسوها. وقد لعبت هذه المدرسة دوراً هاماً في نقل الثقافة الهلنستية إلى العالم الإسلامي عن طريق التراجم. انظر: الأصفهاني. موسوعة الطب النبوي. ص ١٠١.

فيها إلى بلادهم ومارسوا نشاطاتهم المهنية هناك. وتعرض الآن لبعض هؤلاء للتمكن من فهم مستوى الطب في العهد الجاهلي.

١. الحارث بن كلدة الثقفي (ت: ٦٧٠/٥٠): هو طبيب من أفاضل أطباء العرب من أهل الطائف، رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل تلك الديار، وأجاد في هذه الصناعة، وحصل له بذلك مال كثير. وشهد من رآه ببلد فارس بعلمه وشاع اسمه بينهم، ثم رجع إلى بلاده اشتهر طبه بين العرب. وكان لا يزال على قيد الحياة حينما بدأ رسول الله ﷺ بتبليغ الإسلام. حيث كان رسول الله يوصي أيضاً الذين يصابون بأمراض خطيرة أن يتلوهوا لدى الحارث. وهذا يدل على مدى شهرته وأهليته^١. قال سعد بن أبي وقاص: "مرضت فعادني النبي ﷺ فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها في فؤادي فقال: "إنك رجل مفؤود أنت الحارث بن كلدة أخوا ثقيف فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن"^٢.

٢. رفاعة أبو رمثة التميمي (ت: ٦٦٩/٤٩): هو من بني تميم وجاء إلى المدينة كي يسلم. وكان والده طبيباً أيضاً. وقد اهتم والده بخاتم النبوة التي كانت بين كتفي النبي ﷺ وفحص عنها ظناً منه أنها وليدة مرض السرطان وأراد أن يأخذها بعمل جراحي. إلا أن

^١ الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني. ٢٠٠١م. نظام الحكومة النبوية المسمى الترتيب الإدارية. تعليق: علي محمد دندل. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ص ٤٧٧.

^٢ أبو داود. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية. كتاب الطب. باب في غمرة العجوة (١٢). رقم الحديث: ٣٨٧٥. قال الألباني: ضعيف. ج ٤. ص ٧.

النبي ﷺ رفض هذا الاقتراح البتة وقال له: "إن الله هو الطبيب، ولكنك رجل رقيق".
ومع هذا فإن هذه الرواية ذات أهمية من حيث دلالتها على أن الأطباء العرب في ذلك
العهد كان باستطاعتهم أن يقوموا ببعض الأعمال الجراحية.

٤. شمردل بن قباب الكعبي رحمه الله. أنه قد عاش طيباً آخر في عهد النبي ﷺ هو شمردل بن قباب الكعبي النجرائي. فقد قدم المدينة ضمن وفد نصارى نجران الذين أسلموا وأخبر النبي ﷺ بأنه كان طبيباً في الجاهلية وكان يداوي النساء، فوصاه النبي ﷺ ببعض

^٢ الإمام أحمد. ١٩٩٥م. المسند. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الحديث. رقم الحديث: ٢٧٤٩. ط ١. ج ٣. ص ٢٢٤-٢٢٥.

التوصيات الطبية. فقال شمر دل: "يا رسول الله والذي بعثك بالحق إنك لأحسن الأطباء علماً".^١

٥. ابن حزم: ومن أطباء عهد النبي ﷺ أيضاً، فمن المعلوم أنه عُني بالطب وداوى الناس منذ العهد الجاهلي وأنه كان يقوم بذلك عن طريق الحمامة والكي خاصة. فصارت مهارته هذه ضرب مثل وكان العرب يعبرون عن مهارة أي طبيب بالعبرة التالية: "أكثر مهارة في الكي من ابن خنزم".^٢

٦. شفاء بنت عبد الله القرشية: إن شفاء بنت عبد الله القرشية التي كانت من الطبيبات اللاتي عشن على عهد النبي ﷺ، قد تعلمت بعض الطرق المداواة ولا سيما مداواة الأمراض الجلدية وعلمتها زوجة النبي ﷺ حفصة^٣. وهي في الوقت نفسه من أقدم الموظفين في الحسبة. ويرى أنها واصلت وظيفتها هذه إلى زمن عمر بن الخطاب وقامت بمراقبة الأسواق حينذاك.

٧. رُقيدة بنت سعد الأنصارية: لقد ورد في المصادر أنه كانت في المدينة قرب المسجد النبوي خيمة، هي في الحقيقة مستشفى يعالج فيه المرضى والجرحى باستمرار. وكانت رُقيدة تعمل فيه كطبية حيث تعتبر أول ممرضة قامت بتأسيس مستشفى صحراوي متنقل في تاريخ الطب الإسلامي، كما أنه قد سميت هذه الخيمة بخيمة رُقيدة^٤. وحينما أصيب سعد بن معاذ بالجرح في أكحله خلال غزوة الخندق، أمر النبي ﷺ بنقله إلى الخيمة

^١ ابن حجر. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ١٩٦٩م. الإصابة في تمييز الصحابة. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٣٢٨. ج ٢. ص ١٥٥-١٥٦.

^٢ مختار سالم. ١٩٨٨م. الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع. بيروت: المؤسسة المعارف. ص ٥٢٣.

^٣ أبو نعيم. الطب النبوي. رقم الحديث ٤٨٢-٤٨٣.

^٤ ابن الأثير. علي بن الأثير أبو الحسن الجزوي. ١٩٧٠م. أسد الغابة في معرفة الصحابة. القاهرة: دار الشعب. ج ٢. ص ٣٧٣.

المذكورة للحيلولة دون ضياع الدم عن طريق المداواة بالكَي^١. حتى قيل أنها قد شاركت

النبي ﷺ في فتح خيبر، وعالجت الجرحى وفازت بنصيب من الغنائم^٢.

٨. عائشة رضي الله عنها: روى أن عائشة كانت تعنى بالطب وتعرف أسماء كثيراً من الأدوية

وكيفية تحضيرها وتراكيبها. وقد سئلت عن مصدر معلوماتها هذه فأجابت: "كان رسول

الله رجلاً مسقماً، وكان يقدم عليه وفود العرب والعجم، فتنعت له فتعلمت ذلك"^٣.

ثانياً: طرق المعالجة الطبية عند العرب في العهد الجاهلي

وإذا نظرنا إلى مناهج التداوي ومستوى علم الطب في الجزيرة العربية، فالمنهج الأول هو الرقية التي

كان الكهان والعرفان يقومون بها. أما الثاني فهو المنهج الذي كان يطبق عن طريق الأدوية

والتدخل الجراحي^٤. ويمكن أن نطلع على هذا المنهجين مفصلاً على نحو الآتي:

١. كان الإتيان إلى الكهان طريقاً ذائعاً للتداوي بين العرب الجاهلية حيث كان عرب

الجاهلية يعيشون قبل الإسلام عيشة بدائية، ويعتقدون بوجود قوى خفية كالجن

والشياطين والأرواح وراء ما لا يفهمون أسبابه من الحوادث. ولذلك كانوا يأتون الكهان،

والعرفان حلاً للحوادث المستعصية بالنسبة إليهم وانطلاقاً من الاعتقاد بأن لهم علاقات

مع العالم الخفي، من الأرواح والجن. وكان الكهنة والعرفان يطبقون مناهج مختلفة لمعالجة

الأمراض عبارة عن التمايم والسحر والرقية وما إليها وفيها من الاعتقادات الباطلة

^١ ابن هشام. السيرة النبوية. ج ٣. ص ٢٥٠. ابن حجر. الإصابة. ج ٤. ص ٣٠٢.

^٢ ابن هشام. السيرة النبوية. ج ٣. ص ٢٥٠. وابن سعد. الطبقات الكبرى. ج ٦. ص ٢٩١.

^٣ الحاكم النيسابوري. المستدرک على الصحيحين. تابع كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم. كتاب الطب. رقم

الحديث: ٧٥٠٣. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. ج ٤. ص ٣١٨.

^٤ الأصفهاني. موسوعة الطب النبوي. ص ١٠٥.

والخرافات أكثر مما تعني علم الطب. ولذلك فإن النبي ﷺ حرّم هذه المناهج التي تتضمن الشرك كما ذكرنا في المبحث السابق.

٢. إننا نرى أنه كان في الجزيرة العربية إلى جانب هؤلاء، عدد قليل من الأطباء الذين كانوا يجرون معالجاتهم وفقاً للتطبيقات الطبية. وقد ألمنا بالمبرزين منهم سالفاً. أما معالجاتهم التي كانوا يطبقونها، فكانت عبارة عن الانتفاع ببعض النباتات وتنفيذ بعض الأعمال الجراحية البسيطة. ومن بين المناهج كثيرة الاستعمال أيضاً هو كيّ الجروح وتحسينها من خلال استخدام بعض المراهم والأدوية، بسبب من كثرة الحروب، إلى جانب استخدام بعض المواد النباتية والحيوانية وكان يستعمل الحمامة لتداوي بعض الحميات والأوجاع^١.

ثالثاً: مصادر معلومات النبي ﷺ الطبية

إن تراث الحديث الذي تورثناه من النبي ﷺ فيه عدد لا يستهان به من الروايات المتعلقة بالطب التي جمعت ضمن كتاب الطب أو كتاب المرضى في الكتب الستة^٢. إذا قمنا بتحليل الأحاديث المتعلقة بالطب، من حيث علاقتها بمفهوم السنة، فهل لنا أن نصنّف الأحاديث الواردة في الطب مع الأحاديث الأخرى الواردة في الأحكام مثلاً؟ وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ عَمَلُهُ شَدِيدٌ الْقُوَىٰ ﴿٥٣﴾ (سورة النجم: ٥٣-٣) فهل مصدر الأحاديث المتعلقة بالطب وحى أم لا؟ فيغية الحصول على أجوبة لهذه الأسئلة يلزمنا البحث عن المصادر الأحاديث المتعلقة بالطب.

^١ الأصفهاني. موسوعة الطب النبوي. ص ١٠٥-١٠٦.

^٢ للبخاري كتاب الطب وكتاب المرضى، ومسلم كتاب السلام، وأبو داود الطب، والترمذي الطب، والنسائي كتاب الطب (السنن الكبرى)، وابن ماجه الطب.

ويمكن تقسيم السنة النبوية إلى القسمين التاليين من خلال نظرة عامة إلى الموضوع:

١. السنة المستمدة من الوحي والتي مصدرها إلهي.
٢. السنة المستمدة من الاجتهاد النبوي، أي التي مصدرها بشري. إلا أننا لن نناقش التقسيم نفسه لأن بعض العلماء يزعمون أن جميع أقوال النبي ﷺ وأفعاله مستندة إلى الوحي، بينما الجَم الغفير منهم على أنه يلزم تناول السنة داخل إطار التقسيم المذكور. ولذا يلزم تناول أيضاً الأحاديث الطبية داخل هذا التقسيم.

فمثلاً إن الفطايي الذي هو من شراح الحديث الأوائل، قد قام بالبيان التالي حول الموضوع: ينقسم الطب عنده إلى قسمين: الأول: الطب القياسي: وهذا هو الطب اليوناني الذي يطبقه الناس في أماكن مختلفة من العالم. الثاني: الطب التجريبي: وهذا طب العرب والهند. وأكثر الطرق التي ذكرها النبي ﷺ لقصد التداوي، فإنه حسب طب العرب التجريبي^١.

أما الإمام الشاطبي فقد قام ببيان أكثر توضيحاً حيث قال: "أما علم الطب، فقد كان في العرب منه شيء لا على ما عند الأوائل، بل مأخوذ من تجارب الأميين غير مبني على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون. وعلى ذلك المساق جاء في الشريعة لكن على وجه جامع شاف، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (سورة الأعراف ٣١: ٧). وجاء في الحديث التعريف ببعض الأدوية لبعض الأدوية، وأبطل من ذلك ما هو باطل، كالتداوي بالخمر والرقى التي اشتملت على ما لا يجوز شرعاً"^٢.

^١ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب الطب. باب دواء المبطلون. ج ١٠. ص ٢٠٩.

^٢ الشاطبي. أبو إسحاق إبراهيم. د.ت. الموافقات في أصول الأحكام. بيروت: دار الفكر. ج ٢. ص ٤٩.

إلا أن ابن خلدون جاء بالتمييز الأكثر وضوحاً في المسألة. فقد ذهب إلى أن النبي ﷺ لم يُبعث إلينا، لا لتبيين الطب ولا لتبيين غيره من العلوم، بل لتعليم الدين وتبليغه فحسب. فالأحاديث المتعلقة بالطب النبوي ليست ملزمة العمل. إذ لا علاقة لها بالوحي، بل إنها تعكس عادات ذلك الوقت^١. وبعبارة أخرى ما نقلناه من الآراء، فإن بعض العلماء من بين أهل الحديث على وجه الخصوص، رأوا أن كافة أحاديث النبي ﷺ منشأها الوحي وأنه لا بد من تصنيف الروايات المتعلقة بالطب داخل هذا الإطار أيضاً.

ترى الباحثة في هذه القضية، إذا نص القرآن على أمر دنيوي فهو حق لا مرية فيه، لأنه من الله تعالى الذي لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض. فإذا كان الحديث النبوي في الشؤون الدنيوية استجابة لإرشادات القرآن التي تتعلق بذلك الأمر، فيكون الفعل بياناً أو امتثالاً للقرآن، ويحمل على الشرعي. ولعل خير مثال على ذلك شره ﷺ العسل للتداوي، فإن ذلك تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ وشبيهه بذلك ما أخبر ﷺ أنه فعله عن وحي من الله تعالى. بناء على هذا الكلام نقول إذا تردد الفعل بين أن يكون دنيوياً أو دينياً، حُمل على الديني لأنه الأكثر من أفعاله ﷺ.

^١ ابن خلدون. عبد الرحمن بن خلدون. ١٩٩٣م. مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ج ١. ص ٤٠٥. ما نصه: " والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عادياً للعرب. ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل. فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلّمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات... اللهم إلا إن استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم في النفع".

أما ابن قيم الجوزية فيرى العكس تماماً: "وليس طبه كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل. وطب غيره أكثر حدس وظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان. فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور - إن لم يتلق هذا التلقي - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم ومريضاً إلى مرضهم وأين يقع طب الأبدان منه فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع وليس ذلك لقصور في الدواء ولكن لحبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله".^١

ومن شاركوا ابن قيم في رأيه الكثاني. فإنه إلى جانب ذلك دافع في كتابه الشهير التراتيب الإدارية عن أن الطب النبوي أثر للوحي، بالإضافة إلى ما قام به من الانتقادات حول آراء ابن خلدون التي ذكرناها آنفاً.

وأما شاه ولي الله الدهلوي فادعى رأياً معتدلاً نسبياً. فالسنة المروية عن النبي ﷺ المدونة في الكتب تنقسم عنده إلى قسمين: أولاهما: هي السنة المأمورة وهي داخلة في مجال تبليغ الرسالة. فلا بد من تصنيف الأحاديث المتعلقة بالاعتقاد والعبادات تحت هذا القسم. أما ثانيتهما: فهي السنة التي ليست مأمورة وغير داخلة في مجال تبليغ الرسالة. وللإشارة إلى هذا النوع من السنة

^١ ابن قيم الجوزية. محمد بن أبو بكر الخنبلي. ١٩٨٧م. زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج ٤. ص ٣٥-٣٦.

فقد قال النبي ﷺ: "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، و إذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر"^١. فالأحاديث المتعلقة بالطب داخلة في هذا النوع من السنة^٢.

وقد اعتبر محمد أبو شهبة-وهو من علماء الحديث المعاصرين-، أن الطب النبوي حصيلة الوحي. فقد ذهب إلى أن أسلوب الأحاديث المروية عن النبي ﷺ فيما يتعلق بالطب، يثبت هذا الموضوع. حيث قال: "وشرق كبير في الأسلوب بين هذين الحديثين (يقصد به حديث الذبابة وحديث تمر العجوة) وأمثالهما من أحاديث الطب وبين قصة تأبير النخل، لأن النبي ﷺ لم يسقها مساق القطع واليقين، وإنما ساقها مساق الرجاء: "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً"^٣. ومعظم أحاديث الطب-إن لم تكن كلها- إنما ساقها النبي ﷺ مساق القطع واليقين مما يدل على أنها بوحي من الله سبحانه وتعالى"^٤.

أما الكاتب علي رضا قره بولوط الذي أعد موسوعة في الطب النبوي ﷺ، فقد عبّر عن رأيه حول مصادر الطب النبوي بالعبارة التالية: "إن النبي ﷺ الذي كان دائماً تحت رقابة الوحي وإرشاده، لم يُرسل ليعلم الشريعة فقط، إنه قد شكّل أحسن نموذج في المواضيع الدنيوية ولا سيما المواضيع الطبية. لأن النبي ﷺ قام بتطبيق ما كان يطبقه العرب من المعلومات الطبية بعد الإصلاح والتصحيح. إضافة إلى تطبيق الأوامر التي تلقاها عن طريق الوحي. وقد تأسى به

^١ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب وجوب امثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي (٣٨). رقم الحديث: ٢٣٦٢. ص ١٠٢٥.

^٢ الدهلوي. شاه ولي الله. د.ت. حجة الله البالغة. بيروت: دار الفكر. ج ١. ص ١٢٨.

^٣ سبق تخريجه.

^٤ أبو شهبة، محمد. ١٩٨٩م. دفاع عن السنة. القاهرة: مكتبة السنة. ص ٣٤٢.

الصحابة والتابعون بعد عهده في المواضيع الدينية والطبية على حد سواء^١. وبعد هذه التوضيحات عدّ مصادر الطب النبوي كما يلي: "القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة المستندة إلى الوحي، والقياس، والتجربة، التعديل والتصحيح"^٢.

المبحث الثالث: كيفية استخدام العلاج بالقرآن الكريم وشروط من يقوم بالعلاج بالقرآن
ذكرنا فيما سبق الأدلة من القرآن، والسنة، والإجماع، وأقوال العلماء على جواز العلاج بالقرآن الكريم. ويتضح لنا أن العلاج بالقرآن أمر شرعي بما ثبت عن الرسول الله ﷺ وصحابته والتابعين إلى يومنا الحاضر. وهذه القوة الشفائية في القرآن - إن دلت على شيء - فإنما تدل على الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم في مجال الشفاء. أما في هذا المبحث فسوف نذكر كيفية العلاج بالقرآن الكريم، وكل ما وردت في الأحاديث الصحيحة عن كيفية العلاج بالقرآن، تعتبر صحيحة يجوز العمل بها. ثم سوف نتطرق الباحة للحديث عن شروط من يقوم بالعلاج بالقرآن الكريم، والفرق بين الرقية الشرعية، والشعوذة والسحر.

المطلب الأول: كيفية استخدام العلاج بالقرآن الكريم

العلاج بالقرآن عبارة عن آيات تتلى على المريض بالإضافة إلى الأدعية والأذكار المأثورة الأحاديث الصحيحة التي نكررها عدداً من المرات حتى يحدث الشفاء بإذن الله تعالى. والشيء الذي يؤثر في المريض هو تلاوة القرآن، والتلاوة القرآنية تتألف من شيئين: الصوت الذي يتكلم

^١ قره بولوط، علي رضا. ١٩٩٤م. موسوعة الطب النبوي. أنقرة: منشورات مكتبة. ج ١. ص ١٤.

^٢ نفس المرجع. ج ١. ص ١٤.

به المعالج، والمعاني التي تحملها الآيات^١. وسوف نثبت من خلال الفقرات الآتية -إن شاء الله- أن الصوت له تأثير قوي جداً على خلايا الجسم، ونثبت أيضاً أن أفضل تأثير للعلاج بالصوت هو كلام الله تعالى. وقبل الخوض في هذا الموضوع، يجدر بنا أن نتحدث أولاً عن أنواع المرض في القرآن الكريم.

أولاً: أنواع المرض في القرآن الكريم

المرض في القرآن الكريم نوعان:

١. مرض قلوب: وينقسم إلى ثلاثة أقسام: مرض شبه وشك، ومرض شهوة وغى، ومرض هو وعمى^٢. وجميعهم مذكورون في القرآن الكريم. مرض شبه وشك ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (سورة البقرة ٢: ١٠). ومرض الغي والشهوات ذكرهم الله في قوله: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (سورة مريم ١٩: ٥٩) وهم مرضى لاتباع الشهوات وإضاعة الصلوات. وفي قوله: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ

^١ الكحيل. عبد الدائم. د.ت. عالج نفسك بالقرآن: أول دراسة علمية موثقة، <http://www.kaheel7.com/ar>

^٢ وما يجدر بالذكر هنا إن صلاح القلب يعني صلاح الجسد كله، وفساد القلب يعني فساد الجسد كله، أي أن القلب يحدد مصير صاحبه. وقد ثبتت بالتجربة العلمية أن المشاعر السلبية المختزنة من أقوى العوامل التي تؤدي إلى تثبيط وظائف المناعة عند الإنسان. وثبت أن ضعف أو خلل وظائف المناعة عند الإنسان يؤدي إلى زيادة نسبة الإصابة بالأمراض المختلفة، ومنها ما يهدد الصحة والحياة. وبالتالي فإن الإرشاد النفسي لتعلم كيفية التخلص من المشاعر السلبية هو جزء أساسي في علاج الأمراض المزمنة والتي كان يظن أنها مستعصية على العلاج الشافي. وقد صدق الصادق المصدوق عليه السلام بقوله: يقول (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان. باب فضل من استبرأ لدينه. رقم الحديث: ٥٢. ج ١. ص ٣٤.

^٣ د. محمد محمود عبد الله. ١٩٩٧م. الطب القرآني بين الغذاء والدواء. بيروت: مؤسسة الإيمان. ط ١. ص ٩-١٠.

مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا

﴿٣٣﴾ (سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢) وقوله: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة الأنبياء ٢١ : ٣) وفي

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٣٤﴾ (سورة

الحج ٢٢ : ٤٦) والمقصود هنا العمي المعنوي، أي الطمس على بصيرة القلوب فلا ترى نور الهداية.

٢. مرض أبدان؛ وينقسم إلى قسمين: القسم الأول: اعتلال الأعضاء وتلفها: وقد بين الله

ذلك في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾

(سورة النور ٢٤ : ٦١). والأمراض العضوية هذه تنتج من عدم أداء أي جزء من أجزاء

الجسم وظيفته كاملة، أو من توقفه عن العمل كلية، أو تنتج من ذلك أعراض المرض.

وكل مرض عضوي له أعراض، وتاريخ، ومواصفات، ومضاعفات خاصة به حيث يمكن

التفرقة بين الأمراض العضوية، وتشخيص كل منها، وهذا هو المقصود بمرض الأبدان.^١

والقسم الثاني: الاعتلال بالأمراض النفسية: وهذه الأمراض تنتج عدم مؤثرات خارجية

في الحياة العامة مثل الخوف، والشك، والمخافة، وكثرة الإجهاد، أو الحزن على ما فات

والحرص على المستقبل، كل هذا يسبب سقم النفس.

ثانياً: مدى دور العين في إصابة أمراض الأبدان أو الأمراض النفسية.

العين هي: الوصف دون ذكر الله (وهو سم اللسان) وليس المراد آلة اللسان. وإنما عبر بها لأنها

الواصفة للواقع وحينئذ تنطلق الشياطين الحاضرة فتعمد إلى إيذاء الموصوف - بإذن الله - . إذن

^١ عبد الله. الطب القرآني بين الغذاء والدواء. ص ١٠

الذي يخرج من العين هو الوصف (وهو سم اللسان) - بدليل أن الأعمى يصيب غيره بالعين- ويتلقف الشيطان المتربص هذا الوصف الذي لم يذكر اسم الله عليه، ويؤثر في بدن المحسود بإذن الله إذ لم يكن ثمة تحصين^١. والعين هي السبب الغالب لكثير من أمراض الناس، ومما يدل على حقيقة العين النصوص التالية من القرآن والسنة:

- أخرج البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "العين حق ونهى عن الوشم"^٢.
- أخرج مسلم من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا"^٣. قال الإمام أبو عبد الله المازري: "أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث، وقالوا: العين حق"^٤.

^١ السدحان، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن. ١٤٢٢هـ. كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية. د.ن. د.ط. ص ١٧، ١٩.

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب الطب، باب العين حق. رقم الحديث ٥٧٤٠. ج ٤. ص ٤٤.

^٣ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب الطب والمرض والرقى. رقم الحديث ٢١٨٨. ج ٣. ص ٤٢٢. من حديث ابن عباس رفعه "العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا" فأما الزيادة الأولى ففيها تأكيد وتنبيه على سرعة نفوذها وتأثيره في الذات، وفيها إشارة إلى البدع التي زعم من المتصوفة أن قوله: "العين حق" يريد به القدر أي العين التي تجري منها الأحكام، فإن عين الشيء حقيقة، والمعنى أن الذي يصيب من الضرر بالعادة عند نظر الناظر إنما هو بقدر الله السابق لا بشيء يحدث للناظر في المنظور. ووجه الرد أن الحديث ظاهر في المغايرة بين القدر وبين العين، وإن كنا نعتقد أن العين من جملة المقدور، لكن ظاهره إثبات العين التي تعسب إما بما جعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه فيها، وإما بإجراء العادة بحدوث الضرر عند تحديد النظر، وإنما جرى الحديث مجرى المبالغة في إثبات العين لا أنه يمكن أن يرد القدر شيء إذ القدر عبارة عن سابق علم الله، وهو لا راد لأمره، أشار إلى ذلك القرطبي. ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٢٥٠.

^٤ النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج ١٤. ص ١٧١.

- وقد أخرج البزار من حديث جابر بسند حسن عن النبي ﷺ قال: "أكثر من يموت من أمي بعد قضاء الله وقدره بالأنفس" قال الراوي: يعني بالعين. وقال النووي: في الحديث إثبات القدر وصحة أمر العين وأنها قوية الضرر^١.
- وأخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة رفعه "العين حق، ويحضر بها الشيطان، وحسد ابن آدم"^٢.
- وفي رواية أنه ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: "أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحق وإسماعيل عليهم السلام"^٣.
- عن عبادة بن الصامت قال: "دخلت على رسول الله ﷺ أعوده وبه من الوجع ما يعلم الله تبارك وتعالى بشدة ثم دخلت عليه من العشي وقد برئ أحسن برء فقلت له دخلت عليك غدوة وبك من الوجع ما يعلم الله بشدة ودخلت عليك العشية وقد برئت فقال يا ابن الصامت إن جبريل عليه السلام رثاني برقية برئت ألا أعلمكها قلت بلى قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حسد كل حاسد وعين بسم الله يشفيك"^٤.

^١ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٢٥٠.

^٢ أخرجه أحمد في مسنده.. المسند للإمام أحمد. رقم الحديث: ٩٦٣١. ط ١. ج ٩. ص ٢٧٦. إسناده صحيح. وصححه الهيثمي أيضاً وقال رجاله رجال الصحيح عند أحمد.

^٣ أخرجه الترمذي في سننه. الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الطب عن رسول الله. باب ما جاء في الرقية من العين. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. رقم الحديث: ٢٠٦٠. ط ١. ص ٤٦٦.

^٤ أخرجه أحمد في مسنده. المسند للإمام أحمد. رقم الحديث: ٢٢٦٥٨. ج ١٦. ص ٤١٣. إسناده حسن.

- قال النبي ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"^١. قال القاضي وغيره، قيل: هو على ظاهره، وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه. وقيل: هو على الاستعارة لكثرة إغوائه وسوسته، فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه. وقيل: يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن، فتصل الوسوسة إلى القلب^٢.

- قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (سورة ص ٣٨: ٤١) وفي قوله (مسي الشيطان) وجهان: أحدهما: أن مس الشيطان وسوسته وتذكيره بما كان فيه من نعمة وما صار إليه من محنة، حكاه ابن عيسى. الثاني: الشيطان استأذن الله تعالى أن يسلطه على ماله فسلطه، ثم أهله وداره فسلطه، ثم جسده فسلطه، ثم على قلبه فلم يسلطه، قال ابن عباس فهو قوله: (مسي الشيطان) الآية. (نصب وعذاب) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: يعني بالنصب الألم وبالعذاب السقم، قاله مبشر بن عبيد. الثاني: النصب في جسده، والعذاب في ماله، قاله السدي. الثالث: أن النصب العناء، والعذاب اليلاء^٣. وقيل: بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي^٤.

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب الأحكام. باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم. رقم الحديث: ٧١٧١. ج ٤. ص ٣٣٦.

^٢ النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج. ج ١٤. ص ١٥٧.

^٣ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. د.ت. النكت والعيون تفسير الماوردي. تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية. د.ط. ج ٥. ص ١٠١.

^٤ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج ١٢. ص ٩٩.

نسب ذلك إلى الشيطان دليل على أن الشيطان يقدر على إحداث الأمراض والاسقام بإذن الله تعالى^١.

وإن كان الفاعل الحقيقي هو الله تعالى ولكن نسب الأمر إلى الشيطان من باب التزام جانب الأدب مع الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: (وإذا مرضت فهو يشفين) فنسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى تأدباً مع الذات العلية وإن كان الكل من عند الله تعالى.

ولأهمية هذا الموضوع فسوف نقول الباحثة كلاماً مختصراً لبعض أهل العلم عن حقيقة العين، ومن هؤلاء:

- ذكر الباجي في المنتقى شرح مؤطاً مالك: "العين حق، وقد ذكر الناس في أمر العين وجوهاً أصحها أن يكون الله قد أجرى العادة عند تعجب ذلك من أمر الله ونطقه به دون أن يبرك (يعني يقول: اللهم بارك فيه ولا تضره) أن يمرض المتعجب منه، أو يتلف، أو يفسد، أو يتغير، أو يكون ذلك عند وجود معنى في نفس العائن لا يوجد في نفس غيره من حسد مخصوص، أو معنى من المعاني إلا أن العائن إذا برك وهو أن يقول: بارك

^١ الحق في هذه القصة والذي يجب أن نعتقد أنه ابتلى ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب باجذام وأن جسمه أصبح قرحة وأنه ألقى على كناسة بني إسرائيل يرعى في جسده الدود، وتبعث به دواب بني إسرائيل أو أنه أصيب بمرض الجدري. انظر أبو شهبة، محمد بن محمد. ١٤٠٨ هـ. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. القاهرة: مكتبة السنة. ط ٤. ص ٢٨٠.

الله فيه بطل المعنى الذي يخاف من العين ولم يكن له تأثير فإن لم يبرك وقع ما أجرى الله تعالى به العادة عند ذلك"^١.

- قال ابن حجر: "وقد أشكل ذلك بعض الناس فقال: كيف تعمل العين من بُعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟ وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات، ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين، وليست هي المؤثرة وإنما التأثير للروح. فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن صالغ البدن الذي لا وقاية له أثر فيه، وإلا لم ينفذ السهم، بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سواء"^٢.

- قال ابن الأثير: "(العين حق وإذا استغسلتم فاغسلوا) يقال: أصابت فلانا عين إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها. يقال: عانه يعينه عينا فهو عائن إذا أصابه بالعين والمصاب معين"^٣.

فالأحاديث آنفة الذكر وكلام أهل العلم يدل على أن كل إنسان حوله شياطين الجن يترصون الإيقاع به، فكل إنسان معرض للحسد، ولا يكاد أحد يسلم من العين إلا من عصم الله. ونحن نجد الناس يموتون بأمراض وعلل متنوعة كالأمراض المعدية والسرطانات والحوادث وغيرها، فكثير من هذه الأمراض والعلل سببها العين بعد قضاء الله وقدره.

^١ الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب. ١٩٩٩م. التتقى شرح موطأ مالك. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٠. ج ٩. ص ٣٧٤-٣٧٥. رقم الحديث: ١٦٨٩. كتاب الجامع. باب الوضوء من العين.

^٢ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٢٤٥.

^٣ ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج ٣. ص ٦٢٥.

وقد اعترف أصحاب العلم المادي في السنوات الأخيرة بمثل هذه التأثيرات الروحية على المادة. فقد قال (روجر سبيري-Roger Sperry)¹ الحاصل على جائزة نوبل بأهمية الربط بين المفاهيم الروحية والعلوم. ورغم أن مثل هذه المعرفة لم تتلحقها من البحث العلمي لأسباب سياسية واجتماعية وفلسفية كثيرة ومعقدة، إلا أنها بدأت في السنوات الأخيرة تجد لها حظاً أوفر بين العلماء والباحثين وبدأ الخوف من لمس هذه العلاقة يتلاشى في نفوس العلماء الذين ظلت عقدة التعارض بين الروح والعلم قابضة في أنفسهم عقوداً طويلة².

وقد ذكر مصطلقي كمال البنا ذلك في كتابه: الطاقة الشفائية فقال: "فلقد كشف العلم الحديث عن وجود هالة ضوئية حول جسم الإنسان وحول كل خلية حية وحول أوراق النباتات. ولقد تم تصوير هذه الهالة بأجهزة خاصة ودقيقة. وهي عبارة عن كاميرا لتصوير هذه الطاقة وهي تُعرف باسم (Kirlian)³ وذلك منذ عام ١٩٣٩ حيث تتمكن من تصوير الهالة الضوئية المحيطة بجسم الإنسان الذي يشع عنه أنواع من الإشعاعات بعضها يمكن تصويره. وأن هذه الحالات

¹ Roger W. Sperry. The Nobel prize in Physiology or Medicine in 1981. http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/medicine/laureates/1981/sperry-autobio.html# تاريخ الوصول: ٩ يوليو ٢٠١٢.

² أبحاث منتقاة من ندوة التشافي بالقرآن. ١٩٩٧. محمد الأحمد أبو النور. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الأشقر، محمد سليمان. كيف كان القرآن شفاءً لأمراض الإنسان وقاية وعلاج. ص ٩٨.

³ In 1939, Seymon Kirlian began his work developing new concept of electrophotography. Kirlian found that by subjecting animate and inanimate objects to a high-voltage high frequency pulse, that an *aura* or halo would form around the object and could be recorded on film. The illumination of the halo was sufficient to make the exposure, so no light were required. Although Seymon Kirlian lived and lived and died with in relative obscurity, Kirlian photography is the subject these days of heated debate. The pro-Kirlians insist that the unique photographic method can capture moods of people, pinpoint illnesses that have yet to manifest themselves in other forms, and graphically depict an individual's psychic aura. The anti-Kirlians, mostly hard-line scientists insist that there's nothing to the method other than the natural corona discharge of high-voltage, high-frequency potentials. Gordon McComb. 1990. Gordon McComb's Gadgeteer's Goldmine!: 55 Space-Age Projects. USA: TAB Books. Page77.

الضوئية لها دلالات على أنشطة الجسم الحيوية أصابته بالأمراض المختلفة مثل السرطان أو ضعف القلب وأمراض القولون والبنكرياس وأمراض العيون وخلل الغدد الصماء'. وأثبت العلم أن هذه الحالة لها سمكات وكثافات أكبر لدى المصلين من المسلمين. وقد تكلم عنها قدماء علماء المسلمين وسموها الحصن. وأن سمكة وكثافة هذه الحالة تزداد بزيادة تقوى الإنسان وبزيادة قراءة القرآن وذكر الله، بينما تتآكل هذه الحالة وتضعف بارتكاب كبائر الذنوب وبالسحر. ويمكننا أن نسجل ونرصد بالأجهزة كيف أن الكبائر والذنوب تأكل وتذيب الحالة المحيطة بجسم الإنسان".^١ يقول الإمام الشافعي: "صنعتان لا غنى للناس عنهما: العلماء لأديانهم والأطباء لأبدانهم".^٢

هذه لمحة سريعة عن الأنواع الأمراض وحقيقة العين وعلاقتها بكثير من أمراض الناس. والآن نعود إلى الحديث عن كيفية استخدام العلاج بالقرآن الكريم. هناك عدة طرق العلاج بالقرآن، منها:

١. النفث في الرقية
٢. القراءة في الماء والشرب منه والاعتسالة
٣. قراءة المريض نفسه والاستماع به

^١ ICGST Conference on Artificial Intelligence and Machine Learning, AIML-11. Grand Midwest Hotel, Dubai, UAE. 12-14 April 2011. *Understanding Abnormal Energy Levels in Aura Images*. B. Shanmuga Priya, R. Rajesh. Page 75, 76. The researcher says: "Kirlian camera which captures an aura images that measures human energy levels and examine changes in the subtle energy distribution of the individual. This Kirlian photograph gives information on the subject of the psychological, emotional and physical stipulation...The Kirlian camera captures the auras or bio-field to analyze and locate the state of person's health. Kirlian images quantify the person stressed, tired and conclude bio-energetic electro photonic performance of the body and mind. Recently, it has become a diagnostic tool in medical science. Refer: V. Soutanov, J. Charalambous, E. White and D. Sapunar, "Instant Kirlian Diagnostic system - A unique form of diagnosis", 2nd Int. Conf. on Bioelectromagnetism, Melbourne, Australia, Feb.1998.

^٢ البنا. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ص ٥٢-٥٤.

^٣ الشامي، صالح أحمد. ٢٠٠٢م. مواعظ الإمام الشافعي معالم في التربية والدعوة. د.م: المكتب الإسلامي. ص ١٦.

ثالثاً: النفث في الرقية

قال ابن الأثير: النفث: وهو شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق^١. ومما يدل على هذه الكيفية النصوص الحديثية التالية، منها:

- عن أبي قتادة قال: قال النبي ﷺ الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره وإن الشيطان لا يتراءى بي^٢.
- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بیده رجاء بركتها^٣.
- عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات. فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي^٤.
- لكهيل الأزدي قال: كانت له صحبة، قال: أصيب الناس يوم أحد، وكثرت فيهم الجراحات، فأتى رجل النبي ﷺ فأخبره فقال: "انطلق فقم على الطريق، فلا يمر بك جريح إلا قلت: بسم الله ثم تفلت في جرحه"^٥.

^١ ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج ٥. ص ١٩٧.
^٢ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب التعبير. باب من رأى النبي ﷺ في المنام. رقم الحديث: ٦٩٩٥.
ج ٤. ص ٢٩٩.

^٣ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب فضائل القرآن. باب فضل المعوذات. رقم الحديث: ٥٠١٦. ج ٣.
ص ٣٤٤.

^٤ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب رقية المريض بالمعوذات والنفث. رقم الحديث: ٢١٩٢.
ج ٣. ص ٤٢٥.

^٥ الكتاني. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية. ص ٤٨٥.

ومن كلام بعض أهل العلم، منهم النووي والزخشي نقلاً عن المناوي أورده في كتابي صحيح مسلم بشرح النووي وفيض القدير بشرح الجامع الصغير:

- قال النووي: (والنفت) نفخ لطيف بلا ريق . فيه استحباب النفت في الرقية ، وقد أجمعوا على جوازه ، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم^١.
- قال الزخشي : والنفت بالفم شبيه بالنفخ ويقال نفت الراقي ريقه وهو أقل من التفل والحية تنفت السم ومنه قولهم لا بد للمصدر أن ينفت. وقال الطيبي : الضمير في عنه راجع إلى ذلك النفت والجار والمجرور حال أي نفت على بعض جسده ثم مسح بيده متجاوزاً عن ذلك النفت إلى جميع أعضائه. وفائدة النفت التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذي ماسه الذكر كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر وفيه تفاؤل بزوال الألم وانفصاله كاتصال ذلك الريق ونقص المعوذات لما فيها من الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً. بل اكتشف علم الحديث أن اللعاب يحتوي على هرمونات وانزيمات وبروتينات ومواد أولية وعناصر كيميائية كثيرة جداً تفيد علاج الجروح^٢. ففي الإخلاص كمال التوحيد الاعتقادي في الاستعاذة من شر ما خلق ما يعم الأشباح والأرواح وبقية

^١ النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج. ج ١٤. ص ١٨٢.

^٢ Veerman E.C et al. *Saliva and Wound healing*. May 2011. 118 (5): 253-6. Dutch. USA: National Center for Biotechnology Information, US National Library of Medicine. *The oral mucosa is frequently exposed to mechanical forces, which may result in tissue damage. Saliva contributes to the repair of the oral mucosa in several ways. In the first place, it creates a humid environment to improve the function of inflammatory cells. During the last few years, it has been shown that saliva also contains a large number of proteins with a role in wound healing. Saliva contains growth factors, especially Epidermal Growth FACTOR, which promotes the proliferation of epithelial cells. Trefoil factor 3 and histatin promote the process of wound closure. The importance of Secretory Leucocyte Protease Inhibitor is demonstrated by the fact that in the absence of this salivary protein, oral wound healing is considerably delayed. Understanding these salivary proteins opens the way for the development of new wound healing medications. Refer too: Hannu Larjava. 2012. Oral Wound Healing: Cell Biology and Clinical Management. UK: Wiley-Blackwell. Page:157-158.*

هذا الحديث في صحيح البخاري فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه فطفت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينثف فرفع رأسه إلى السماء وقال في الرفيق الأعلى^١.

فالأحاديث أنفة الذكر وكلام أهل العلم يدل على جواز النفث في الرقية. وبه قال جماعة من الصحابة وهو مذهب جمهور العلماء.

رابعاً: القراءة في الماء والشرب منه والاغتسال

وكيفية ذلك أنه يؤتى بماء في إناء ونحوه، ثم يقرأ عليه بالرقية المشروعة وينثف فيه أو أن يقرأ بالرقية الشرعية ثم ينثف في الماء، وبذلك يزول الداء بإذن الله. وقد أفاد العلماء الأجلاء بمشروعية ذلك حيث قالوا:

- الرقية في الماء لا بأس بها، وذلك بأن يقرأ في الماء ويشربه المريض، أو يصب عليه، فقد فعل ذلك النبي ﷺ فإنه ثبت في سنن أبي داود في كتاب الطب: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل على ثابت بن قيس، قال أحمد: وهو مريض، فقال: اكشف البأس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس، ثم أخذ تراباً من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه بماء وصبه عليه محل الشاهد قوله: (نفث عليه) يعني: نفث على

^١ المناوي. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. ٢٠٠١م. فيض القدير شرح الجامع الصغير من

أحاديث البشير والنذير. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. ج ٥. ص ١٢٩.

الماء رقية، وصبه عليه، وهذا الحديث فيه دلالة على جواز النفث في الماء، وعلى الرقية في الماء واستعمال المريض لها^١.

- فالرقية في الماء وشربه أجازه بعض العلماء، قال محمد بن مفلح: قال صالح بن الإمام أحمد ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحاً فيه ماء فيقرأ عليه ويقول لي: اشرب منه، واغسل وجهك ويديك^٢.

- وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن حكم النفث في الماء، فأجاب: النفث في الماء على قسمين: القسم الأول: أن يراد بهذا النفث التبرك بريق النافث فهذا لا شك أنه حرام ونوع من الشرك؛ لأن ريق الإنسان ليس سبباً للبركة والشفاء ولا أحد يتبرك بآثاره إلا محمد ﷺ. والقسم الثاني: أن ينث الإنسان بريق تلا فيه القرآن الكريم مثل أن يقرأ الفاتحة - والفاتحة رقية وهي من أعظم ما يرقى به المريض - فيقرأ الفاتحة وينث في الماء فإن هذا لا بأس به، وقد فعله بعض السلف وهو مجرب ونافع بإذن الله^٣.

- ورأى جماعة من السلف أن تكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها. قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض ومثله عن أبي قلابة، وكرهه النخعي وابن سيرين. وروي عن ابن عباس: أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادها أثر من القرآن

^١ العظيم آبادي، أبو عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي. ٢٠٠٠م. عون المعبود شرح سنن أبي داود. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. بيروت: دار الإحياء التراث العربي. ط ١٠. ج ١٠. ص ٢٠٩. خلاصة حكم المحدث: سكت عنه (وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح).

^٢ فتاوى الشبكة الإسلامية. رقم الفتاوى: 18776. الرقى والتمايم والتولة. تاريخ التحديث: ٢٠٠٢، ٦٧. تاريخ الوصول: ٢٤ نوفمبر ٢٠١١. <http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=18776>

^٣ محمد بن صالح بن محمد العثيمين. د.ت. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. د.م: دار الوطن - دار الثريا. د.ط. ج ١. ص ١٠٧-١٠٨.

ثم يغسل وتسقى. وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلا كان به وجع، يعني: جنون^١.

- وجاء عن ابن عثيمين عن كتابة القرآن وشربه ما نصه: "وأما كتابة القرآن بالأوراق ثم توضع في الماء ويشرب الماء أو على إناء ثم يوضع فيه الماء ويرج فيه ثم يشرب أو النفث في الماء بالقرآن ثم يشرب فهذا لا أعلم فيه سنة عن رسول الله ﷺ ولكنه كان من عمل السلف وهو أمرٌ محرمٌ وحينئذٍ نقول لا بأس به أي لا بأس أن يصنع هذا للمرضى لينتفعوا به^٢.

- ويقول الشيخ صالح الفوزان: "الأولى أن يقرأ المسلم على أخيه بأن ينفث على جسمه بعد ما يقرأ الآيات أو على موضع الألم منه وهذه هي الرقية الشرعية. وإن قرأ له في ماء وشربه فكذلك أيضًا، لأن هذا ورد به الحديث، أما كتابة الآيات في ورقة ثم تمحي هذه الورقة في ماء ويشربها المريض فهذا رخص فيه كثير من العلماء قياسًا على ما ورد، وأخذًا لعموم الاستشفاء بالقرآن الكريم لأن الله أخبر أنه شفاء فلا بأس به - إن شاء الله - ولكن الأولى هو ما ذكرناه وهو الوارد عن الرسول ﷺ. وهو القراءة على المريض مباشرة أو القراءة في ماء ويشربه"^٣.

^١ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. ١٩٨٣ م. شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. دمشق: المكتب الإسلامي. كتاب الطب والرقى. باب ما رخص فيه من الرقى. ج ١٢. ص ١٦٦.

^٢ ابن عثيمين. فتاوى نور على الدرب. كتاب التوحيد والعقيدة. تاريخ التحديث: ٢٤، ٦، ٢٠٠٤.

^٣ الفوزان. صالح بن فوزان بن عبد الله. ١٩٩٩. المتتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. بيروت: مؤسسة الرسالة. د. ط. ج ٢. ص ٨٣. كتاب الرقى.

فهذا الكلام من أهل العلم يدل على جواز القراءة في الماء والشرب منه والاعتسال من باب الرخصة. وهذا من عمل السلف، ولا بأس أن يصنع هذا للمرضى لينتفعوا به كما ورد في الحديث: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل".^١

خامساً: قراءة المريض نفسه والاستماع به

إن أفضل شخص لقراءة القرآن للعلاج هو المريض نفسه، لأن الأبحاث الجديدة في هذا المجال أثبتت أن صوت المريض نفسه هو الأكثر تأثيراً على مرضه، وأن الخلايا تستجيب للترددات الصوتية الناتجة عن صاحبها أكثر من استجابتها لأي صوت آخر. بالإضافة إلى أن الشخص المريض هو الأكثر معاناة وألماً من مرضه فتجده يقرأ ويتضرع إلى الله بكل أحاسيسه. وهذا ما يسمى بـ "الرقية الذاتية".

ولكن قد يكون المريض في حالة صعبة فلا يستطيع التركيز والقراءة الصحيحة فيمكن الاستعانة بشخص يقوم بالقراءة عليه كأن يكون أحد أقربائه أو حتى راق متخصص في أمور العلاج بالقرآن، بل يمكن سماع هذه الرقية من خلال أداة تسجيل مثل الكمبيوتر أو الجوال وغيرها. وهذا مجرب، وينبغي على من يقرأ آيات الشفاء أن يركز تفكيره على المرض ويتخيل كأن المرض قد شفي تماماً ببركة هذا الآيات. وتكون القراءة بصوت مرتفع قليلاً بحيث يسمعه المريض، أي

^١ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة. ج ٣.

أن تكون القراءة جهرية وليست سرية. وذلك لأن الأبحاث أثبتت أن الترددات الصوتية تؤثر على خلايا جسد المريض وبخاصة مرض السرطان^١.

ومما يدل على هذه الكيفية النصوص الحديثية التالية:

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كُتبت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها. فسألت الزهري: كيف ينفث قال كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه^٢.
- عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها^٣.
- وقال ابن القيم في كتابه الطب النبوي: "ولقد مرَّ بي وقتٌ بمكَّة سَقَمْتُ فيه، وفقدتُ الطبيب والدَّواء، فكُنْتُ أتعالج بها، آخذ شربةً من ماء زمزم، وأقرأها عليها مرارًا - يعني: فاتحة الكتاب - ثم أشره، فوجدتُ بذلك البرء التام، ثم صرْتُ أَعتمد ذلك عند كثيرٍ من الأوجاع، فأنتفعُ بها غايةَ الانتفاع"^٤.

^١ البنا. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ص ٦٥-٦٦.

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب الطب. باب الرقي بالقرآن والمعوذات. رقم الحديث: ٥٧٣٥.

ج ٤. ص ٤٢-٤٣.

^٣ سبق تخريجه.

^٤ ابن قيم الجوزية. الطب النبوي. ص ١٣٩.

ولعلنا نتساءل: أيهما أولى قراءة القرآن أم الاستماع إليه؟

مما لا شك فيه أن النبي ﷺ قرأ واستمع إلى القرآن. ومن الأحاديث الدالة على قراءته وسماعه النبي ﷺ كثيرة، منها:

- عن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".^١

- عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: "أبطأت على عهد رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال أين كنت قلت كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد قالت فقام وسمعت معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا".^٢

- عن عبد الله رضي الله عنه قال لي النبي ﷺ: اقرأ علي القرآن. قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري.^٣

- عن عبد الله بن مسعود قال: "قال لي النبي ﷺ اقرأ علي قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم فقرأت سورة الفساء حتى أتيت إلى هذه الآية { فكيف إذا جئنا من

^١ أخرجه الترمذي في سننه. سنن الترمذي. كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صل الله عليه وسلم. باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر. رقم الحديث: ٢٩١٠. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب. ص ٦٥١.

^٢ أخرجه ابن ماجه في سننه. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف. ط ١. كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها. باب في حسن الصوت بالقرآن. رقم الحديث: ١٣٣٨. ص ٢٢٧.

^٣ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب فضائل القرآن. باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره. رقم الحديث: ٥٠٤٩. ج ٣. ص ٣٥١.

كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان"^١.

فالأفضل أن يعمل بما هو أصلح لقلبه، وأكثر تأثيراً فيه من القراءة أو الاستماع لأن المقصود من القراءة هو التدبر والفهم للمعنى والعمل بما يدل عليه القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة ص ٣٨ : ٢٩). أما إذا كان يحصل الخشوع في القلب والتدبر وفهم المعنى والتأثر بالقرآن بالقراءة والاستماع عند ذلك، فالقراءة أفضل لثبوت الأدلة النقلية الصريحة في ذلك حيث أن القراءة لها أجر كما جاء النص.

أما في حالة العلاج بالقرآن، فالأصل في الرقية الشرعية أن يقرأ الإنسان على نفسه وعلى أهله وعلى محارمه. فهذا هو الأسلم والأتقى والأورع. وهذا ما نقله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز^٢. وكلما كانت الرقية نابعة من ذات الشخص لنفسه كانت أقوى وأنفع بإذن الله، بل الأبحاث الجديدة في هذا المجال أثبتت أن صوت المريض نفسه هو الأكثر تأثيراً على مرضه، وأن الخلايا تستجيب للترددات الصوتية الناتجة عن صاحبها أكثر من استجابتها لأي صوت آخر. ومن هنا تتحقق فوائد مهمة منها كمال اتباع النبي ﷺ وأقرب إلى إجابة الدعاء.

أما استخدام الرقية المسجلة والمسموعة وهي رقية شرعية متضمنة آيات من كتاب الله أو أحاديث عن الرسول ﷺ فلا حرج في ذلك، بل الأولى أن تستخدم هذه الطريقة في حالات

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب فضائل القرآن. باب قول المقرئ للقارئ حسبك. رقم الحديث: ٥٠٥٠. ج ٣. ص ٣٥١.

^٢ موقع ابن باز www.binbaz.org.sa/mat/19461

الضرورة بشرط أن ينصت المريض للرقية بخشوع وفهم وتدبر للمعنى. علماً بأن اتباع هذه الطريقة وبهذه الوسيلة لا تغني عن الرقية الشرعية لأن الرقية عمل يحتاج لاعتقاد ونية حال ادائها ومباشرة للنفث على المريض، والجهاز لا يتأتى منه ذلك إلا في حالة الضرورة^١.

سادساً: أسباب عدم حصول الشفاء

وقد يتعالج بعض الناس بالرقية الشرعية وبالقرآن ولكن لا يحصل الشفاء، ولذلك أسباب كثيرة، ومن هذه الأسباب ما يلي:

- إن الله لم يقدر لهذا المريض الشفاء من مرضه، وإن استخدم الدواء المناسب أو القرآن. وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله، وقد قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ^٢ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ^٣ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^٤﴾ (سورة البقرة: ٢١٦).
- لم يتم مصادفة الدواء للداء لكي يحصل الشفاء. أي إن لكل داء دواء، فقد يبدأ المريض بتناول دواء معين ولكن لم يكن هذا هو الدواء المناسب لهذا المرض، فقد يكون هنالك خطأ في تشخيص المرض.
- عدم استحضار النية في الشفاء. تبين أنه يجب حضور السمع كلياً بالأذن والقلب لهذه الآيات مع حضور العقل حضوراً تاماً مع السمع بكلمات ومعاني هذه الآيات، وذلك من أجل الاستفادة من القرآن الكريم.
- تأخير الاستجابة من الله إلى يوم القيامة حيث تكون بأمس الحاجة إلى الرحمة والمغفرة والنجاة من النار. فأيهما أفضل أن تشفي من مرض مثل السرطان، أم أنك تكون يوم

^١ موقع ابن باز www.binbaz.org.sa/mat/19461

القيامة مع الأنبياء في الجنة. عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها^١.

وذكر ابن القيم ما نصه: "...ولكن ههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يمتشفي بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن يستدعي قبول المحل، وقوة همه الفاعل وتأثيره. فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن يسجع فيه الدواء؛ كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره. فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول. وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة، أثر في إزالة الداء. وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يوجهه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمثابة القوس الرخو جدا فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها^٢. كما في صحيح الحاكم

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب كتاب المرضى. باب فضل من يصرع من الربيع. رقم الحديث: ٥٦٥٢. ج ٤. ص ٢٥.

^٢ ابن القيم الجوزية. ١٤٢٩هـ. الداء والدواء. تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد. ط ١. ص ٨-

من حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ: "أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه"^١ فهذا دواء نافع مزيل للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته. ولذلك لا نتعجل الشفاء لأن الأمر كله بيد الله وحده، هو يفعل ما يشاء. وعلينا أن نعتقد جازماً أن الله يستجيب دعاءنا بطريقة ما قد لا ندركها.

المطلب الثاني: شروط من يقوم بالعلاج بالقرآن

إن للراقي شروطاً يجب أن تتوفر فيه لكي يستجيب الله له. من هذه الشروط أن يكون مؤمناً لم يلبس إيمانه بظلم، محافظاً على صلاته، مؤدياً كل التكاليف الشرعية عن حب، مفوضاً أمره لله، مستسلماً بقلبه وجوارحه له، لا يمد يده إلى حرام، ولا يحرك لسانه بلفو، أو زور، أو كذب. ولا تشغله الدنيا عن الآخرة معتقداً أن كل ما يجري به القدر سابق في علم الله، وأن الرقية لا ترد قدراً أراد الله نفاذه، وأن المريض إذا شفاه الله فإن الرقية تكون من قدر الله.

وقد جاء في شرح صحيح البخاري: قال ابن التين: أن الرقي بالمعوذات، وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله^٢.

ويقول الشوكاني: "إن التداوي بالدعاء مع الالتجاء إلى الله أجمع وأُنفَع من العلاج بالعقاقير ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما: من جهة العليل وهو صدق القصد. والآخر: من جهة المداوي

^١ أخرجه الحاكم في المستدرک. المستدرک على الصحيحين. كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر. رقم الحديث:

١٨٦٨ ج ١. ص ٦٧٦. وقال الذهبي: صالح متروك.

^٢ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٢٤١.

وهو توجه قلبه إلى الله وقوته بالتقوى والتوكل على الله^١. وقال الخطابي عن الرقية والراقي: أن تكون بقوارع القرآن وبما فيه ذكر الله تعالى على ألسن الأبرار من الخلق الطاهرة النفوس وهو الطب الروحاني^٢.

ولقد كانت شروط الراقي متوافرة في صحابة رسول الله ﷺ وفي السلف الصالح. فقد كانت دعواتهم مجابة، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب السير. ومن هنا نعلم أن الرقية مرتبطة بإيمان الراقي، وأن حروفها وألفاظها ما هي إلا وسيلة فقط. أما الجوهر فهو صلة الراقي بالله تعالى. وخلاصة القول أن الشفاء القرآني تتحقق فائدته متى تحققت الشروط التي ذكرناها.

المبحث الرابع: الرقية الشرعية: حكمها، وضوابطها، وكيفيةها، والفرق بين الشعوذة والسحر .

تكلّمنا بالتفصيل عن العلاج بالقرآن وكيفية هذا النوع من العلاج بالقرآن هو ما يسمى أيضاً بالرقية الشرعية. وفي هذا المبحث سوف نذكر تعريف الرقية الشرعية، وضوابطها وشروطها.

^١ الشوكاني. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. ط ١. ج ٧. ص ٦٤١.

^٢ العيني. بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد. ٢٠٠١م. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر. بيروت: دار الكتب العلمية. كتاب الطب. باب رقية العين. ط ١. ج ٢١. ص ٣٩٤.

المطلب الأول: الرقية الشرعية: حكمها وضوابطها وكيفيةها

أولاً: تعريف الرقية الشرعية

الرقية- بسكون القاف -، ويقال: "رَقَى" - بالفتح في الماضي، "يرقي" بالكسر في المستقبل، و"رَقِيت" فلاناً- بكسر القاف، "أرقيه"، ويقال: "استرقى"، أي طلب الرقية.

ويقول ابن منظور: والرقية العودَة معروفة، قال رُبَة فما تَرَكَ من عودَة يَعْرِفَانَهَا ولا رُقِيَة إلا بما رَقَّيَانِي والجمع رُقَى وتقول اسْتَرْقَيْتُهُ فَرَقَّيَانِي رُقِيَة فهو رَاقٍ وقد رَقَّاه رُقِيّاً ورُقِيّاً ورجلٌ رَقَّاءٌ صاحبٌ رُقَى يقال رَقَّى الرَاقِي رُقِيّاً ورُقِيّاً إذا عَوَّدَ وَنَقَّثَ في عودَتِهِ والمرْقِيُّ يَسْتَرْقِي وهم الرَاقُونَ^١. ويعرفها ابن الأثير: الرقية، العودَة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات^٢.

وعرفها بعض الفقهاء: رقى المريض، ونحوه - رَقَّاه، ورَقَّاه، ورقيه: عوده. ورَقَّاه، ورقيه: سعد. استرقى فلاناً: طلب منه أن يرقيه. - له: طلب من يرقيه. الرَاقِي: صانع الرقية. (ج) رَقَّاه. وهي راقية. (ج) رواق. وهو راقية أيضاً والتاء للمبالغة. الرقية: العودَة التي يرقى بها المريض، ونحوه. وهي كلام يستشفى به من كل عارض. (ج) رَقَّى - عند الإباضية: هي الاعتصام في إزالة مرض، أو جنون، بالقرآن، أو بكلام ذكر^٣.

^١ ابن منظور. لسان العرب . ج ٣. ص ١٧١١. مادة رقا.

^٢ ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. ج ٢. ص ٢٥٤.

^٣ أبو حبيب. ١٩٨٨م. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً. دمشق: دار الفكر. د. ط. ص ١٥٢.

وقال ابن التين: الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى الحسنى هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، ولما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني^١.

ثانياً: أنواع الرقية

١. الرقية بالقرآن الكريم.

ثبت فيما تقدم ذكره قراءة سورة الفاتحة، كما في حديث النفر الذي انطلقوا في سفرة، وإقرار النبي ﷺ للراقي بقراءة سورة الفاتحة وإنها رقية. وثبت كذلك أن قراءة المعوذات من الرقى النافعة، وقد تقدم ذكر النصوص الدالة على ذلك من قول النبي وفعله ﷺ، ومن فعل غيره له. كما ثبت أن قراءة آية الكرسي من الرقى النافعة بإذن الله تعالى وفيه إقرار النبي ﷺ أنها رقية.

٢. الرقية بالأدعية والأذكار.

وقد ثبت ذلك كما في أحاديث وأدعية النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره ووصيته لأصحابه. وقد تقدم ذكره في المبحث السابق.

ثالثاً: حكم الرقية، وشروطها، وضوابطها

ذكر جماعة من العلماء شروطاً لا بد من مراعاتها لتكون الرقية جائزة مقبولة شرعاً، وللاستفاد بها من جانب آخر:

^١ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٢٤١.

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع بذاتها دون الله. فإن اعتقد ذلك فإنها محرمة لما فيها من الشرك.^١
 الثاني: ألا تكون الرقية مما يخالف الشرع، كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله، أو استغاثة بالجن، وما أشبه ذلك. فإنها محرمة، بل من الشرك.^٢ فلا تكون برقية شركية لحديث: "لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"^٣.

الثالث: أن تكون بكلام عربي، وتكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.^٤ فلا تكون بالحروف المقطعة، والكلمات المبهمة؛ وإن كانت باللغة العربية. ولا تكون على هيئة محرمة، كأن يتعمد الرقية في الحمام، أو بالنظر في النجوم وما شابه ذلك. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد.^٥ يقول الإمام النووي رحمه الله في شرحه لحديث أنس في الرخصة في الرقية من العين والحمة والنملة: "ليس معناه تخصيص جوازها بهذه الثلاثة وإنما معناه أنه سئل عن هذه، فأذن فيها. ولو سئل عن غيرها لأذن فيه. وقد أذن لغير هؤلاء، وقد رقى هو ﷺ في غير هذه الثلاثة"^٦.

^١ العثيمين، محمد بن صالح العثيمين. ٢٠٠٤م. القول المفيد شرح كتاب التوحيد. تحقيق: نبيل صلاح. القاهرة: دار العقيدة. ط ١. ج ١. ص ١١٩.

^٢ العثيمين. القول المفيد شرح كتاب التوحيد. ج ١. ص ١١٩.

^٣ ومسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام: باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك. رقم الحديث: ٢٢٠٠. ج ٣. ص ٤٢٨.

^٤ العثيمين. المفيد شرح كتاب التوحيد. ج ١. ص ١١٩.

^٥ أخرجه أبو داود في سننه. سنن أبي داود. كتاب الطب: باب في النجوم. رقم الحديث: ٣٩٠٥. ص ٧٠١. وهذا حديث حسن.

^٦ النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم. ج ١٤. ص ١٨٥.

ويقول الإمام ابن حجر في شرحه لحديث أنس في الإذن في الرقية من الحمة والأذن: "وأما رقية الأذن، فقال ابن بطلال: المراد وجع الأذن، أي رخص في رقية الأذن إذا كان بها وجع، وهذا يرد الحصر الماضي في الحديث المذكور في "باب من اكتوى"، حيث قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة". فيجوز أن يكون رخص فيه، بعد أن منع منه أو يحتمل أن يكون المعنى لا رقية أنفع من رقية العين والحمة، ولم يرد نفي الرقى من غيرهما. وقال أيضاً في شرحه لحديث ابن عباس في المرأة التي كانت تصرع وتتكشف: "وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء، والالتجاء إلى الله أنجح وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية..."

المطلب الثاني: الفرق بين الرقية الشرعية، والشعوذة والسحر

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة العلاج بالقرآن، وهي ظاهرة مشروعة بلا شك، لكن ما يثير القلق ويبعث الأسف أن يتولى الأمر العظيم بعض الجهلة القراء ممن ليس لهم حظ من العلم الشرعي. وهم يعالجون عن طريق السحر أو الكهانة، وما في ذلك من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين لما فيه من التعلق بغير الله تعالى ومخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ. ومن هنا لا بد أن نعرف الفرق بين الرقية الشرعية، والشعوذة والسحر حتى نخلص أنفسنا من التعلق بغير الله تعالى.

^١ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٢١٣. شرح الحديث: ٥٧٢٠-٥٧٢١-٥٧٢٢.

^٢ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ١٤٣. شرح الحديث: ٥٦٥٢.

أولاً: السحر لغة واصطلاحاً

قال ابن منظور: "قال الأزهري: السحر عمل تُقَرَّب فيه إلى الشيطان، وبمعوونة منه، كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى، والسحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر - لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته - قد سحر الشيء عن وجهه، أي صرفه".^١

وقال الراغب: السحر يقال على معان:

الاول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الابصار عما يفعله خلفه يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للاصماع وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الأعراف ٧: ١١٦)، وقال: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (سورة طه ٢٠٠: ٦٦)، وبهذا النظر سموا موسى عليه السلام ساحراً فقالوا: ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّئُ السَّاحِرُ ادَّعُ لَكَ رَبُّكَ لِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف ٤٣: ٤٩). ويسمى أيضاً الشعوذة.

والثاني: استجلاب معاونه الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيْطَانُ﴾ (سورة الشعراء ٢٦: ٢٢٢-٢٢٣) وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (سورة البقرة ١٠٢).

^١ ابن منظور. لسان العرب. ج ٣. ص ١٩٥٢. مادة "سحر".

^٢ الأصفهاني، الراغب. معجم مقدرات ألفاظ القرآن. ص ٤٦٣-٤٦٤.

والثالث: ما يذهب إليه الاغتمام وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة لذلك عند المحصلين.

وقد تصور من السحر تارة حسنه فقليل: "إن من البيان لسحرا"^١ وتارة دقة فعله حتى قالت الاطباء الطبيعة ساحرة وشموا الغذاء سحرا من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره.^٢

السحر في الإصطلاح: قال ابن خلدون في مقدمته: "علوم السحر والطلسمات هي علوم بكيفية استعلاجات، تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر: إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات".^٣

ويقول أبي قدامة في تعريف السحر: "هو عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له. وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يمرض، ويأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. الجامع الصحيح. كتاب النكاح باب الخبطة. رقم الحديث: ٥١٤٦. ج ٣. ص ٣٧٤. قال ابن الأثير: يعني إن من البيان لسحرا: أي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق. وقيل معناه إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذم. ويجوز أن يكون في معرض المدح، لأنه تستمال به القلوب ويرضى به الساخط ويستنزل به الصعب. والسحر في كلامهم: صرف الشيء عن وجهه. ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر. ج ٢. ص ٨٧٥.

^٢ الأصفهاني. معجم مفردات ألفاظ القرآن. ص ١٧٠.

^٣ ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. ط ١. ص ٤٠٧-٤٠٨.

إلى الآخر، أو يجب بين اثنين. وهذا قول الشافعي^١. قال العلماء: هو ما يُستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يقدر عليه الإنسان^٢.

والساحر ليس هو ولا سحره مؤثرين بذاتهما ولكن يؤثر السحر إذا تعلق به إذن الله القدري الكوني، وأما إذن الله الشرعي فلا يتعلق به البتة، لأن السحر مما حرمه الله ولم يأذن به شرعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِنَ بَعْضِ مَنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة ٢: ١٠٢).

ثانياً: تعريف الشعوذة

يقول ابن منظور: "الشَّعْوَذَةُ: حِفَّةٌ فِي الْيَدِ وَأُخْذٌ كَالسَّحَرِ يُرَى الشَّيْءَ بِغَيْرِ مَا عَلَيْهِ أَصْلُهُ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ؛ وَرَجُلٌ مُشْعَوِّدٌ وَمُشْعَوِّدٌ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَادِيَةِ. وَالشَّعْوَذَةُ السُّرْعَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الْحِفَّةُ فِي كُلِّ أَمْرٍ"^٣.

وقد ذكر النيسابوري في تفسيره: "الشعوذة هي التخيلات الآخذة بالعيون. وذلك أن أغلاط البصر كثيرة، فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركاً، ويرى العظيم من البعيد صغيراً. وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفاً تاماً إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جداً فيخلط البعض بالمعش ولا يتميز، فإن الرجي إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطاً كثيرة بألوان مختلفة ثم أدبرت، فإن البصر يرى لونها واحداً كأنه مركب

^١ ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمود. د.ت. المغني والشرح الكبير. بيروت: دار الكتاب العربي. طبعة جديدة بالأوفست بعناية جماعة من العلماء. ج ١٠. ص ١١٣.

^٢ يكن، فتحي. ١٩٩٤م. حكم الإسلام في السحر ومشتقاته. بيروت: مؤسسة الرسالة. د.ط. ص ١٧.

^٣ ابن منظور. لسان العرب. ج ٤. ص ٢٢٧٣.

من كل تلك الألوان. وكذا الناظر في المرآة ربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا، فلا يرى شيئاً مما في المرآة. فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استقر بهم الشغل بذلك الشيء والتحديث نحوه، عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة فيبقى ذلك العمل خفياً لتعاون الشيئين اشتغالهم بالأول وسرعة إتيانه بالثاني^١.

ثالثاً: حكم السحر والشعوذة

السحر طريق إلى الشيطان وكسب الدنيا وخسر الآخرة، أما الرقية الشرعية طريقها إلى الله عز وجل وكسب الدنيا والآخرة.

ذكر أبو حيان في تفسيره عن حكم السحر ما نصه: "وأما حكم السحر، فما كان منه يعظم به غير الله من الكواكب والشياطين، وإضافة ما يحدثه الله إليها، فهو كفر إجماعاً، لا يحل تعلمه ولا العمل به. وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء، والتفريق بين الزوجين والأصدقاء. وأما إذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك، بل يحتمل، فالظاهر أنه لا يحل تعلمه ولا العمل به. وما كان من نوع التحيل والتخييل، فإن قصد بتعليمه العمل به والتمويه على الناس، فلا ينبغي تعلمه، لأنه من باب الباطل. وإن قصد بذلك معرفته لئلا تقع عليه مخايل السحرة وخدعهم، فلا بأس بتعلمه، أو اللهو واللعب، وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره^٢".

^١ النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. ١٩٩٦م. تفسير غرائب القرآن ورغائب القرآن. تحقيق

الشيخ زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ج ١. ص ٣٤٨.

^٢ أبو حيان. تفسير البحر المحيط. ط ١. ج ١. ص ٤٩٧.

وقال ابن حجر في فتح الباري في الكلام على قول البخاري : "(باب السحر) وقول الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (سورة البقرة ٢ : ١٠٢). وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها، وهو التعبد للشیاطین أو الكواكب. وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر من تعلمه أصلاً^١.

فالسحر حرام وهو من الكبائر لقول الرسول ﷺ: " واجتنبوا السبع الموبقات: قالوا يارسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الوصف، وقدف المحصنات المؤمنات الغافلات "^٢. وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"^٣. وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول: فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"^٤.

^١ ابن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري. كتاب الطب. باب السحر. ج ١٠ ص ٢٢٥.
^٢ أخرجه البخاري في صحيحه. صحيح البخاري. كتاب الوصايا. باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى... رقم الحديث: ٢٧٦٦. ج ٢. ص ٢٩٥.
^٣ أخرجه مسلم في صحيحه. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان. رقم الحديث: ٢٢٣٠. ج ٣. ص ٤٤٠.
^٤ أخرجه الترمذي في سننه. سنن الترمذي. كتاب الطهارة: باب ما جاء في كراهية إتيان الخائض. رقم الحديث: ١٣٥. ص ٤٣. هذا حديث صحيح.

ففي هذه الأحاديث الشريفة النهي عن إتيان العرافين، والكهنة والسحرة والمشعوذين وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك. فهؤلاء قد جمعوا بين السحر وبين الشعوذة والكهانة والعرافة وبين الشرك الأكبر، والاستعانة بغير الله وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه والمصدق لهم في دعواهم على الغيب. فالواجب على ولاية الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين ونحوهم، وبيان سوء تصرفاتهم وأنها منكرة.

الخلاصة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال ما سبق:

١. اكتشفت البحوث العلمية التي أجريت من قبل الباحثين في مجال العلوم الشرعية والطبية عن وجود علاقة مهمة بين التدخين والصحة النفسية، وأن الذين يتمتعون بمستوى عال من التدخين أحسن وضعهم النفسية ومطمئنين في حياتهم بالمقارنة مع قليلي التدخين، بل أقل تعرضاً للضغوط النفسية والاكتئاب والقلق، وأقوى على مقاومة الضغوط النفسية وأقل قابلية لفكرة للانتحار.
٢. ذكرنا رأي الشرع والعلم بضرورة الجمع بين الأسباب المادية والروحية- الدواء والدعاء- للوقاية والعلاج من الأمراض بأنواعها النفسية والعضوية وصولاً إلى الشفاء بعون الله تعالى، حيث أن الإنسان هو قبضة من تراب ونفخة من روح والجسد والنفس أو الروح في النهاية متداخلان والعلاج يتطلب تناول في كلا الجانبين، وذكرنا الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة في بيان ذلك خاصة الجانب المادي الجسدي.

٣. ونستدل مما ذكرناه من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة شرعية العلاج بالقرآن والرقية أو بما ورد عن الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام سواء للشخص نفسه أو لغيره من المسلمين أو غير المسلمين - بشرط إتباع صفة الرقية وأحوالها وفق قواعد الشريعة ومن أهم ذلك إخلاص النسبة لله عز وجل وحسن التوكل عليه والاعتقاد الجازم بفائدتها.

٤. إن القرآن الكريم - لا شك - هو شفاء ودواء من أفات الأبدان وعلل النفوس وبدرجات مختلفة على البشر.

٥. أن الأخذ بالأسباب المادية للرعاية والتداوي من الامراض بأنواعها وكذلك التوكل والدعاء من الله عز وجل خاصة بقراءة القرآن وسماعه والرقية الشرعية بقواعدها وصولاً للشفاء لا يتضارب مع اليقين بكون القرآن فيه شفاء للنفس والروح والجسد.

٦. تصحيح مفهوم الشفاء لدى الأطباء والعامة.